السنة العاشرة العدد ٢٢ ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٠٧

المشرق

الزواج المسيحيّ

نظر تاريخي ولاهوتي للاب لويس شيخو

قلَّما يجد القرَّاء في المشرق كلامًا عن الزواج بينما يرون مجلَّات أُخرى حافلة بالمقالات الزواجيَّة يتفنَّن فيها اصحابها كيفما شاؤوا لا يبالون بما تتضمَّنهُ اقوالهم من المبادئ المجحفة بحقوق الدين او الضارَّة بالهيئة الاجتماعيَّة التي قوامها بآداب الزواج وليس سكوتنا تغاضيًا عن الامر وانَّما نتحاشاهُ لعلمنا بانَّ بحثًا كهذا اوسع مجالًا واعلى شأنًا من ان نخوض فيهِ فرسان القلم دون تروٍّ او تتناولهُ ألسنة الاغرار بلا تحفُّظ ووقار

على انَّنا رأينا في هذه المدَّة الاخيرة تفاقمًا في الشرّ حتى لم يَعُد يسعنا الإضراب عن بعض ما تحامل بهِ هؤلاء المتشدّقون على الكنيسة وكثيرًا ما ينقلون ما يسطّرونهُ عن اقوال بعض الاوربيّين ممَّن لا يكترثون لدين ولا يراعون لأدب . انارهم الله وارشدهم الى سواء السبيل

وممَّا قرأناهُ في بعض المجلَّات المصريَّة معرَّبًا عن الانكليزيَّة لاحد اهل الهند مقالة كثرت فيها الاوهام والاقوال الفاسدة في حقّ الزواج المسيحيّ وقد شعر بذلك صاحب المجلة فنبَّه في ذيل المقالة انَّ « بعض ما يرد فيها من الافكار والاحكام فيهِ نظر عند فئة من اهل العلم » فردَّ بذلك عن نفسهِ المسئوليَّة . وكان الاولى بهِ أن لا ينشر هذه الموهومات بتاتًا

ولمَّا كانت اغلاط هذه النبذة عديدة يقتضي الردّ عليها كتابًا ضخمًا رأينا ان

نأخذ هنا بعض اقوالها فنبيّن بطلانهُ ليتبيّن القرّاء بذلك علماً بضعف بقيّة مزاعم هذا الكاتب وما تستحقّهُ من الاعتبار . قال :

« انّ النصرانية في عصورها الاولى اوضحت حطّها من قدر الزواج فكانت تعدّ هذا الارتباط من الاحوال المنحطّة وتحسب البنين جنايةً وشرًّا . . . وقد نشأ بعض هذا الانحراف عن التشبُّه بالمعلّم نفسهِ لشدَّة تعلّق نبيّ الناصرة باهل المذهب الأسّني وانتظارهِ حلول الساعة في العاجل حين تنتهي الارتباطات المدنيَّة وانقضاء بعثهِ وعمرهِ في مقتبل العمر كلّها امور تجلو لنا اسباب حطّهِ من قدر الزواج . . . وشدَّة بغض بولس للنساء مع ما يقصدهُ من كلام المعلّم قوّى في الكنيسة الاعتقاد الأسّني بانّ الارتباط الزوجيّ وهو اقدس العقود انّما هو اثمٌ يجب تجنّبهُ ما امكن وكان بحسب المقصود من الزواج ايلاد الاولاد وقضاء الشهوة البهيميَّة ليس الّا ولا تزال عقود الزواج في اكثر الكنائس مصبوغة بهذه الصبغة الحالية الى يومنا هذا . . .

« ومن المحقّقات التاريخيَّة التي لا تقبل الشكّ انّ تعدُّد الزوجات لم يُستنكر (اي عند المسيحيين) الّا في الاعصر المتأخرة . والظاهر انّ القديس اغسطينوس نفسهُ لم يرَ فيهِ سقوطاً في الآداب او اثماً وحرجاً بل صرَّح ان تعدُّد الزوجات لا يُعدّ جريمةً لانّ قوانين البلاد تبيحهُ . . ولا نرى في تاريخ الكنيسة ما يدلّ على انّ الاساقفة او رؤساء الكنيسة استاؤوا او اظهروا اقل اعتراض على هذا القانون »

نكتفي بهذه الاسطر ليتحقّق القرّاء ما في هذه المقالة من الاوهام وانّ كلامنا ليس هو تحاملاً بل انتصاراً للحقّ وصوناً لشرف الدين المسيحيّ فنقول :

يُستخلص ممّا روينا انّ كاتب هذه المقالة ينسب الى السيد المسيح والى الكنيسة الحطّ من قدر الزواج لأسباب عدَّدها اخصُّها تأثير التعاليم الاسينيَّة في عقل المسيح واقوالهِ ثم اعتقادهُ بقرب حلول الساعة وانتهاء العالم ثمَّ شدَّة بغض بولس الرسول بحيث اعتقدت الكنيسة انّ الارتباط الزوجيّ هو اثم يجب تجنُّبهُ ما امكن . فتفنيداً لهذه الدعاوى الباطلة نبيّن (اوَّلاً) انّ السيد المسيح رفع قدر الزواج فضلاً عن ان يبخسهُ حقّهُ . (وثانياً) انّ بولس الرسول لم يخالف في ذلك تعاليم سيدهِ . (وثالثاً) انّ الكنيسة اعتبرت دائماً الزواج كاقدس العقود وناصبت كل من اعدَّهُ اثماً يجب تجنُّبهُ

١ الزواج والسيد المسيح

لا ننكر ان السيد المسيح لذكرهِ السجود احبَّ التبتُّل وفضَّلهُ على الزواج وكفانا دليلاً على ذلك انهُ ليس فقط كان بتولاً بل قرَّب ايضاً الى شخصهِ الكريم المتبتّلين زهداً بالدنيا وحبّاً بالله . فهذه امُّهُ الطاهرة كانت بتولاً وهذا ابوهُ بالذخيرة يوسف

البارّ كان بتولًا (المشرق ٣ : ٥٨٠ و٤١٣) وكان صابغهُ القديس يوحنا المعمدان بتولًا. واحبّ بين تلاميذهِ يوحنا الحبيب لتبتُّلهِ. ولكن كيف يمكن المناظر ان يبيّن انَّ المسيح بتفضيلهِ البتوليَّة على الزواج بخس حقوق الزواج وحطّ من قدرهِ ؟ فانَّ في الاناجيل المقدَّسة لا نرى ذكرًا للبتوليَّة الَّا في نصّ واحد في انجيل متى (١٩ : ١٢) فهناك يجيب المخلّص على تلاميذهِ الذين وجدوا قولهُ في منع الطلاق صعبًا قائلين « ان كانت هكذا حال الرجل مع امرأتهِ فاجدر لهُ الَّا يتزوَّج » فقال لهم الرب : « ما كل احد يحتمل هذا الكلام الَّا الذين وُهب لهم لأنَّ من الخصيان من وُلدوا كذلك من بطون أُمهاتهم ومنهم من خصاهم الناس ومنهم من خصَوا انفسهم من اجل ملكوت السماوات فمن استطاع ان يحتمل فليحتمل »

فهذا الكلام كما فهمهُ المعلّمون والآباء دون استثناء يدلُّ على البتوليَّة الاختياريَّة صوَّرها السيّد المسيح بصورة حسيَّة لا يريد بها عملًا جراحيًا مذمومًا كما لا يخفى بل اراد قهر شهوات النفس حبًا بالله وايثارًا للآخرة على الحاضرة. ثم ترى من هذا القول ان المسيح لا يدفع الى التبتّل وانَّما اشار اليهِ فقط اشارة خفيفة فلا يتجاوز قولهُ الوصيَّة حيث اردف « من استطاع ان يحتمل فليحتمل ». وزد على ذلك أنَّهُ صرَّح بصعوبة الامر وبيَّن ان هذه الوصيَّة لا يقدر ان يقوم بها « الَّا الذين وُهب لهم »

فاين رعاك الله وجد صاحب المقالة بانَّ المسيح حطَّ من قدر الزواج أَوَليس الكاتب هو الذي حطَّ من قدر المسيح لمَّا نسب اليهِ امرًا كهذا ؟

وليس قولهُ بان « السيّد المسيح كان شديد التعلّق بمذهب الاسينيين » اقوى حجَّةً لانهُ ليس لدينا شاهد تاريخيّ يشير الى تردّد المسيح على الاسينيين او الى الاجتماع بهم او مراسلتهِ أياهم في زمن من ازمنة حياتهِ. ثمَّ ان تعاليم الاسينيين كما ذكرها يوسيفوس اليهودي وفيلون الاسكندري وبلينيوس الطبيعيّ وغيرهم تختلف في امور كثيرة عن تعاليم السيّد المسيح حتى في امر الزواج كما سترى فانَّ الاسينيين كانوا نسَّاكًا من اليهود يعيشون في الزهد ويشتغلون بالاعمال اليدويَّة تحت ادارة شيوخ من جنسهم وكانوا عادةً يمسكون عن الزواج الَّا فئة منهم كانوا يتزوَّجون على شروط معلومة. وكان للاسينيين تعاليم فلسفيَّة خصوصيَّة استعاروها من تعاليم فيثاغورس الفيلسوف اليونانيّ وكانوا لا يأتون الى اورشليم لزيارة هيكل الرب ولا يقدّمون ذبائح

دموية وهم مع ذلك يبالغون في حفظ السبت كالفريسيين الى غير ذلك من العادات التي لا نرى منها اثرًا في تعاليم السيد المسيح ومنها ما ابطلها بمثله وكلامه وناهيك بذلك برهانًا على بطلان قول الزاعمين بانَّ المسيح كان شديد التعلُّق بمذهب الاسينيين

واضعف من هذا زعمهم بانَّ المسيح كان يتوقَّع حلول الساعة عاجلًا وهو قولٌ بناهُ بعض المحدثين على كلام المسيح في قرب خراب مدينة اورشليم وكان اتخذهُ الرب في الانجيل كندحة ليُعلِم تلاميذهُ بما سيحلُّ في العالم من الآيات والنكبات عند حلول الساعة فظنَّ قوم ان السيد المسيح تكلَّم عن امر واحد وعن قرب منتهى العالم. ولو اعمل هؤلاء فكرهم في كلام الانجيل لتحققوا ان الرب روى هناك لتلاميذهِ امرين مختلفين اولهما قريب حلولهُ والآخر بعيد فجعل الاوَّل كصورة ورمز عن الثاني. وما يوضح جليًا بان السيد المسيح لم يتوقَّع حلول الساعة بعد زمن وجيز انهُ قبل صعودهِ الى السماء وعد تلاميذهُ بأنهُ سيكون معهم الى منتهى الدهر (متى ٢٨ : ٢٠) وانهُ سيُكرز باسمهِ في جميع الامم (لوقا ٢٤ : ٤٧) والى اقصى الارض (اعمال ١ : ٨) وكل هذا يدلُّ صريحًا على مدَّة مديدة واجيال عديدة فلو كان المسيح كما زعموا يتوقع حلول الساعة قريبًا لَمَا استطاع ان يفوه بكلام كهذا

فسقط اذن دعوى القائلين بان السيد المسيح حطَّ من قدر الزواج وليس للحجج التي ذكروها اصل ثابت بل هي تخيُّلات وهمية باطلة يردُّها العلم الاكيد والنظر المجرَّد عن الغايات

ولا يكفينا تزييف هذه السفاسف بل لدينا بيّنات واضحة بانَّ السيد المسيح رفع قدر الزواج وجعلهُ في رتبة لم يعهدها العالم سابقًا منذ ايام الآباء الاوَّلين ودونك الدليل على ذلك

انَّ من يتصفح خبر تكوين الابوين الاولين كما رواه موسى الكليم في سفر الخليقة يجد هناك الصفات التي ارادها الخالق للزوجين فانَّ النبي يذكر اوَّلًا خلقة آدم ولم يُعقب روايتهُ باستحسان الرب لعملهِ كما فعل بعد خلقة بقيَّة الكائنات كأن الله أجَّل استحسانهُ الى ان أتمَّ تكوين حوَّاء فرأى حينئذ انَّ عملهُ «هو حسن جدًّا» ولم يكوِّن حوَّاء من التراب كما فعل بآدم بل من ضلع استلَّهُ من ادم دلالةً على ما يريدهُ من الارتباط غير المنفصم بينهما ثمَّ يعطيها لآدم لا كأمةٍ دونهُ بل «كعون بازائهِ» اشارة الى شرف مقام

الزوجة في بيت رجلها ويقرّ آدم بهذه الرتبة الشريفة حيث يهتف «هوذا عظمٌ من عظامي ولحم من لحمي». ثم يردف الراوي الموحى اليه من الله قولهُ بهذه الآية الجليلة كتوقيع لذلك الصك الذي لا يمكن البشر الغاءهُ قائلًا: «ولذلك يترك الرجل اباهُ وامهُ ويلزم امرأتهُ فيصيران جسدًا واحدًا»

تلك هي صورة الزواج الاوَّل كما انشأهُ الله وكان هو الشاهد عليهِ لمَّا تمَّ الرضى المتبادل بين القرينين. وقد جعل الخالق هذا الاقتران كمثال تامّ لكل ارتباط زواجي فجعلهُ وصالًا بين واحد وواحدة فقط ليصيرا جسدًا واحدًا. ولعمري لو كان تكاثر النسل يقتضي تعدُّد الزوجات لكان الامر في بدء العالم ألزم منهُ في توالي الاجيال بعد انتشار الجنس الآدمي. ثمَّ جعلهُ اقترانًا غير منفصم فلذلك امر بان يترك الانسان اباهُ وامهُ ويلزم امرأتهُ» وقد منح الباري بركتهُ لمثل هذا الزواج «فباركهم الله وقال لهم: انموا واكثروا واملأوا الارض»

على انَّ البشر قد مسخوا صورة الزواج الالهي وتجاوزوا فيهِ سنن الله كما فعلوا ببقيَّة وصاياه. ولا يسعنا هنا ان نتعقَّب تاريخ الشعوب القديمة حتى ارقاها في التمدُّن والعمران لنصف ما الحقوا بهذا العقد المقدَّس من الفساد ولعلَّ معظم النوائب والملمَّات التي حدثت في العالم انَّما كان اصلها من سوء تصرُّف البشر بالزواج وليس الطوفان سوى خطب من الخطوب التي دهمت بني آدم من جراء ذلك لمَّا اهمل الإنسان نفسهُ لشهواتهِ القبيحة ولم يجد في المرأة سوى آلة عمياء يستخدمها للذاتهِ البهيميَّة ثمَّ يقصيها عنهُ بعد قضاء شهواتهِ. والتواريخ طافحة عن المساوئ التي تشهد على استعباد المرأة وانحطاط الشعوب بعد تذلُّلها كيف لا وعليها مبنى تربية الاحداث لا ينشأون على الصلاح دونها ولا صلاح حيثما لا تجد اتفاقًا بين الزوجين يمكن افتراقهما لاسباب لا طائل تحتها او لمجرد اهواء الرجل

والحق يقال انَّ شعب الله بني اسرائيل مع سمو رتبتهم الادبيَّة بين الامم لم ينجوا تمامًا من هذه الشوائب ففشا بينهم كثير من هذه الادواء ونسوا ما اوصى بهِ الخالق في اوَّل الخليقة واستسلموا كغيرهم الى اهواء قلبهم فتسامح لهم موسى ببعض الامور «لقساوة قلوبهم» كما قال لهم الخلاص

فلمَّا ظهر السيد المسيح وكانت غايتهُ «لا ان يحلَّ الشريعة بل ان يكمِّلها» اراد

ايضاً ان يردّ الزواج الى مقامهِ الذي كان اختارهُ لهُ الله في اوّل الخليقة وكل ما تراه في الانجيل عن الزواج يؤيد ذلك فانَّ المسيح ردّ لهُ وحدتهُ وقرَّر ثباتهُ المطلق الى آخر حياة الزوجين وتجد دستور الزواج المسيحي في انجيلي متى (١٩: ٣-١٠) ومرقس (١٠: ٢-١٢) لمَّا دنا الفريسيون الى يسوع ليجرّبوهُ فسألوهُ قائلين: «هل يحلّ لرجل ان يُطلّق زوجتهُ» فاجابهم قائلًا: «بماذا اوصاكم موسى». قالوا: «انَّ موسى قد أذن ان يُكتب كتاب طلاقٍ وتُخلَّى». فاجاب يسوع وقال: «لاجل قساوة قلبكم كتب لكم هذه الوصيّة. أما قرأتم أنَّ الذي خلق الانسان في البدء ذكرًا وانثى خلقهم وقال: لذلك يترك الرجل أباه وامهُ ويلزم امرأتهُ فيصيران جسدًا واحدًا» ثم اردف المسيح مثبتًا لقول الخالق: «وما جمعهُ الله فلا يفرّقهُ انسان» وصرَّح من بعد ذلك عدم جواز الطلاق بقولهِ: «انا اقول لكم من طلق امرأته وتزوَّج أُخرى فقد زنى عليها وان طلقت امرأة بعلها وتزوَّجت آخر فقد زنت»

فترى من هذه الآيات كلها انَّ السيد المسيح ليس فقط لم يبخس شيئًا من حقوق الزواج وانما اراد اصلاحهُ على مثال الزواج الاول الذي رسمهُ الله في فردوس عدن فقرَّر وحدتهُ كما كانت في البدء ونفى الطلاق «لئلَّا يفرق الانسان ما جمعهُ الله». وقد سمح فقط لعلَّة الزنى بالطلاق النوعي اعني بالافتراق لا بحلّ رباط الزواج (١

لكنَّ المسيح ما اجترأ بذلك ولم يرضَ باعادة الزواج الى كرامتهِ الاولى فانَّهُ جعلهُ في جملة اسرار بيعتهِ السبعة ورفع بذلك قدرهُ الى اوج الشرف. لانَّ السرّ كما هو معلوم يمنح النعمة لمن يباشرهُ فالزواج كالمعمودية والتوبة والقربان والكهنوت يخوّل من يرتبط بهِ نعمةً خصوصيَّة فيكفي الزوجين ان يتَّفقا على الشروط المفروضة من الكنيسة ويقبلا الارتباط الزوجي حتى يفيض الله عليهما بمجرد رضاهما نعمةً خصوصيَّة تقدّس عيشتهما الزوجيَّة وتساعدهما على ممارسة الفضائل الالهيَّة وترشدهما الى تربية اولادهما على سنن الآداب. وهذا ما نواهُ المخلص لذكره المجد اذ حضر عرس قانا الجليل واصطنع معجزاتهِ الاولى لاجل المدعوين اليهِ لمَّا حوَّل الماء الى خمر

---

١) اطلب مقالة حضرة الاب انطون صالحاني «الطلاق عند المسيحيين» (في المشرق ٨: ١٠١٣؛ ١٠٧١؛ ١١٢٩) وقد استوفى فيها هذا الموضوع باتمّ البرهان وردَّ على كل الاعتراضات. وهذه المقالة قد طُبعت مرَّتين على حدة فتباع في المطبعة الكاثوليكية

ولنا شاهد آخر على قولنا بانَّ المسيح كرَّم الزواج وجعلهُ سرًّا وهو ما رواه بولس الرسول في رسالتهِ الى اهل افسس (٥: ٣٢) فانَّهُ بعد ان حرَّض الازواج الى المحبة المتبادلة وذكر قول الله في سفر التكوين عن ملازمة الرجل لامرأتهِ لانهما جسد واحد على مثال ملازمة المسيح لكنيستهِ التي اتخذها لنفسهِ كقرينة مجيدة لا كلَف فيها ولا غضن بل منزَّهة من كل عيب» اتبع كلامهُ عن الزواج بهذه الالفاظ: «ان هذا لسرٌّ عظيم. اقول هذا بالنسبة الى المسيح والكنيسة» وهو كلام صريح يبيِّن انَّ الزواج دخل في اسرار البيعة. ومن ثمَّ لم تزل كنيسة الله تعظم هذا السرَّ وتعتبرهُ اعتبارها لاقدس العهود وتحافظ عليهِ محافظتها على الاشياء المقدَّسة

٢ الزواج وبولس الرسول

كلَّا لم يضع المسيح من قدر الزواج بل شرَّفهُ واوثق عروتهُ وبذلك زاد العيشة الزوجية والهيئة الاجتماعية قوَّة ومتانةً وفخرًا. ولم يجرِ بولس الرسول على طريقٍ مخالفة لطريق سيّدهِ بل عرف مثلهُ رفعة الزواج ودافع عن شرفهِ. فلنبين ذلك باقوالهِ نفسها لتسقط حجة القائل بانَّ بولس الرسول كان مبغضاً للنساء فحطَّ من قدر الزواج

واوَّل شاهد نقدّمهُ للقرَّاء هو المكان الذي اشرنا اليهِ آنفاً في رسالتهِ الى الافسسيين فانَّ كلامهُ في تعظيم الزواج وتعريف خواصهِ التي تميّزهُ يوافق تعليم المسيح موافقة تامَّة قال الرسول (افسس ٥: ٢٢ — ٣٢): «لتخضع النساء لرجالهنَّ كما للربّ. لانَّ الرجل هو راس المرأة كما انَّ المسيح هو راس الكنيسة وبذل نفسهُ لاجلها ليقدّسها مطهرًا ايَّاها بغسل الماء وكلمة الحياة ليهديها لنفسهِ كنيسة مجيدة ..... فكذلك يجب على الرجال ان يحبُّوا نساءهم كاجسادهم. من أحبَّ امرأتهُ احبَّ نفسهُ فانهُ لم يبغض احد جسدهُ قط بل يُغذيهِ ويربيهِ كما يعامل الرب الكنيسة .... وكذلك يترك الرجل اباه وامهُ ويلزم امرأتهُ فيصيران كلاهما جسدًا واحدًا. انَّ هذا لسرٌّ عظيم الخ» فأيمُ الله اين وجد صاحب المقالة في هذا الكلام شيئاً يُشعر ببغض بولس الرسول للنساء وللزواج. أوَ كان يمكنهُ ان يصف الزواج بعبارات ارقَّ والطف ويصوّر هذا السرَّ بمعانٍ ابلغ واسمى

وليس هذا المكان الوحيد الذي ذكر فيهِ الاناء المصطفى الزواج لكن كلامهُ

عموماً يدلُّ على اعتبـاره للزواج المسيحيّ وعلى حرصهِ على قداسة هذا السرّ ووثاقة روابطهِ فمن ذلك قولهُ في رسالتهِ الى الرومانيين (٧ : ٢ – ٣) : « انَّ المرأة التي تحت رجل هي مرتبطة بالناموس برجلها ما دام حيًّا فان مات الرجل برئت من ناموس الرجل فمن ثمَّ ما دام رجلها حيًّا ان صارت الى رجل آخر فانها تُدعى زانيةً وان مات رجلها فانَّها حرَّة من ناموس الرجل حتى انها ان صارت لرجل آخر فليست بزانية »

وكذلك في رسالتهِ الى العبرانيين يقول في صيانة شرف الزواج : « ليكن الزواج مكرَّمًا في كل شيء . والمضجع طاهرًا فانَّ الزناة والفسَّاق يدينهم الله » . وفي رسالتهِ الاولى الى تلميذهِ تيموثاوس (٤ : ٣) يحذرهُ من تعاليم بعض المبتدعين الناطقين بالكذب الذين « يمنعون عن الزواج » فاين ناشدتك الله في كل ذلك ما يشير الى بغض للزواج . أليس هذا الكلام والحق على طرفي نقيض

بقي محلّ آخر اتَّسع فيهِ بولس الرسول عن الزواج والبتوليَّة ولعل الخصم رمز اليهِ فينبغي ان نوردهُ . وهو الفصل السابع من رسالة القديس بولس الاولى الى اهل كورنتس فان مدارهُ برمَّتهِ عن الزواج وكان اهل كورنتس كتبوا الى الرسول هل يحسن بهم ان يمتنعوا عن الزواج فيجيب القديس على سؤالهم مميزًا بين الذين ارتبطوا سابقًا بالزواج القانوني وبين غير المتزوجين فيأمر الاولين باسم الربّ ان يبقوا في زواجهم قال : « امَّا المتزوجين فاوصيهم لا انا بل الربّ بان لا تفارق المرأة رجلها وان فارقتهُ فلتبقَ غير متزوجة او فلتصالح رجلها ولا يترك الرجل امرأتهُ » . امَّا غير المتزوجين فانَّ الرسول يشير اليهم بعدم الزواج اذا ارادوا الكمال وخدمة الله بعيدًا عن لذَّات هذا العالم لكنَّ كلامهُ لا يتجاوز مجرَّد النصيحة لا بل يحرض على الزواج ان وجد الانسان في نفسهِ داعيًا الى الخطيئة قال : « احسن للرجل ان لا يمسَّ امرأة ولكن لسبب الزنى فلتكن لكل واحد امراتهُ وليكن لكل واحدةٍ رجلها » وقال : « اني اودّ لو يكون جميع الناس مثلي لكن كل احدٍ لهُ من الله موهبة تخصُّهُ فبعضهم هكذا وبعضهم هكذا » . ومثل هذا يقول للبتولات مشيرًا فقط عليهنَّ بالبتوليَّة : « امَّا البتوليَّة فليس عندي وصيَّة من الربّ لكني افيدكم فيها مشورة ... اني أُريد ان تكونوا بلا همّ . فانَّ الغير المتزوج يهتمّ فيما للربّ كيف يرضي الرب وامَّا المتزوج فيهتمُّ فيما للعالم كيف يرضي امراتهُ فهو منقسم . والمرأة الغير المتزوجة والعذراء تهتمّ فيما للربّ لتكون مقدَّسة في الجسد وفي

الروح واما المتزوجة فتهتم فيما للعالم كيف ترضي رجلها . وانما اقول ذلك لفائدتكم لا لالقي عليكم وهقاً بل ابتغاء ما يجمل ولاجل المواظبة للرب بغير ارتباك » هذا مجمل ما ورد في هذه الرسالة في الزواج والبتولية يظهر منها ان الرسول يفضل البتولية لانَّ المتبتلين بزهدهم في ملذات الدنيا يصرفون نظرهم الى خدمة الله ولكن هيهات ان يُستدلَّ من اقواله على ما يُشعر بالبغض للزواج وهو يكرّر مراراً انَّ الزواج حسن وان كانت حالة البتوليَّة احسن . ولا يقصد الرسول ايَّة بتولية كانت بل يريد تعفُّف الانسان ليتفرَّغ لخدمة الله « فان لم يتعفَّفوا فليتزوجوا فانَّ التزوُّج خير من التحرُّق »

فهذا كلُّ ما ورد في رسائل بولس عن الزواج وهو عين الصواب جرى المسيحيون على مقتضاهُ منذ اوائل النصرانيَّة ولا يزالون يجرون عليهِ وليس فيهِ شيء يستغربهُ ذوو العقول السليمة بل يثبت صحَّتهُ عقلاء الفلاسفة فضلاً عن اللاهوتيين (لهُ بقيَّة)

نخبة من ديوان ابراهيم الحكيم الحلبي

بقلم عيسى اسكندر افندي المعلوف اللبناني (تابع لصفحة ٨٩٠)

وقال يمدح مريم البتول ويحثُّ نفسه على التوبة وذلك سنة ١٧٥١ م وهي ستة واربعون بيتاً نختار منها بعضها ومطلعها :

ماذا اكنّي مريماً   تلك البتول البارعهْ

الى ان قال :

ان قلتُ عرشاً شمسُها   من فوقه هي طالعهْ
او ان اقل باب السما   فهي السماء الساطعهْ
او ان اقل فلك لها   الافلاك تعنو طائعهْ
او قلت شمسٌ شمسها   تخفي الشموس الساطعهْ
او نجمة الصبح التي   جنح الدياجي رافعهْ
او قبَّة العهد التي   فيها الملائك راكعهْ
او جرَّة المنّ الشهي   وعصاة موسى القارعهْ
او بركة الضان التي   اهل البلايا نافعهْ
ومنارة الاقداس في   تابوت عهد لامعهْ

او روضة مخضلّة   زهر الفضائل يانعه
كم ذا اعدّد في كتا   بات الصفات الواسعه
فعييتُ لكن لم ازل   بمدائح متتابعه
افني الزمان لعلّها   تُلفى بمدحي قانعه
وتمنّ لي بالصفح عن   فرط الذنوب الذائعه

الى ان قال يعاتب نفسه :

قد بعتُ عمري كلّه   بالاثم شرَّ مبايعه
وصرفت ايام التجارة   بالخسارة ضائعه
وغدوت في شيخوخة   تلك المعاصي تابعه
أنويَ الرجوع عن الشقا   والنفس فيه والعه
ابدي مساعي توبةٍ   والنفس تغدو راجعه
فغدوت مقطوع الرجا   من توبة لي نافعه
حتّامَ افني العمر بين   عصاوة وطاوعه
وإلامَ نفسي تلتهي   بخصومةٍ ومنازعه
تتغافلين عن الخلا   ص بليل الغيّ هاجعه
كم تطمعين بذي الاماني   بالتواني قانعه
كفّي ارجعي قومي ارفعي   زفرات قلب خاشعه

وقال يمدحها من قصيدة ذهب اولها والباقي منها اربعة واربعون بيتاً منها :

مريم البكر التي قد أعتقت   جنسنا المأسور لمّا وهقا
فاعطفي الطرف لنحوي كرماً   والطفي بي قبل يوم الالتقا
وانقذيني من ذنوب أثّرت   بي كلوماً خرقها لن يُرتقا

وقال يمدحها ايضاً ويندب نفسه سنة ١٧٤٠ وهو في حلب من قصيدة مؤلفة من واحد وثلاثين بيتاً فمن عتاب نفسه :

تسعينَ نحو الاثم سعي الماء في الـ   ـوادي وتنهمكين في دنياكِ
حتى متى لم تنثني عن ميلك المعـ   ـوجّ والايغال في اهواكِ

ومن مدح البتول :

ثم التجي بحمى البتولة مريم   مينا الخلاص لكل خاطٍ باكِ
لا ترجعيني يا بتولة آيساً   ما عاد عنك قط راجٍ شاكِ
لولاكِ ما نال الاثيم خلاصهُ   كلّا ولا حاز التقى لولاكِ

٢ الزهد

قال ابراهيم الحكيم يوبخ المتوغلين في الشرور ويحثهم على التوبة سنة ١٧٥٣م من موشح مؤلف من عشرين دوراً اليك بعضها :

حتامَ في فعل الذنوبْ لم تَنتَهِ من فرط العيوبْ تغيظ علّام الغيوبْ
وتردهي في بغضهِ
اوما خشيت من القضا وبما علينا فرضا والفحص عمّا قد مضى
يوم الحساب وعرضهِ

وقال يندب نفسه ويحثها على الرجوع الى التوبة وذلك سنة ١٧٥١ م في قصيدة مؤلفة من خمسة وعشرين بيتاً ننتخب اهمّها :

ليت شعري هل عاد لي من شفيعِ ارتجيهِ لدى حماك المنيعِ
قد عدمتُ الوسيط واسودَّ وجهي من صنيعي القبيح عند الجميعِ
مذ تباعدتُ عنك صرت كئيباً لم يبد لي من سلوةٍ او هجوعِ
عائشاً في ظلام ليل المعاصي غائصاً في يمّ الذنوب الوسيعِ

الى ان قال :

فالامَ اكون عنك طريداً مبعداً عن رجا رضاك الربيعِ
هل يسرَّنك موت خاطٍ فكلّا بل تشا الكلّ يرجعون رجوعي
فاقبلني . كما قبلتَ قديماً مريماً وارتضي بترر دموعي
ثمَّ نجّني من بحر إثمٍ غريقاً واجتذب مدنفاً كثير الوقوعِ
مذ غوي يد السخا وانتشلني من حماةٍ قد طال فيها هجوعي

وقال يندب نفسهُ ويحثها على التوبة وذلك سنة ١٧٣٨ م وهاك القصيدة برمّتها :

يا قلب حسبك ما كفى تبدي لمولاك الجفا
حتامَ ترهو لاهياً والموت سلَّ المرهفا
اسرفت (١ عمرك باطلاً فلذاك كنت المسرفا
لو كنت تربح نصفه كنت الحكيم المنصفا
لكن مضى ما قد مضى فانهض وكن متخوفا
واندم وتب وابكي ونُح واذرِ دموعك مذرفا
واضرع لربك علّهُ بالعفو ان يتعطفا

---

١) وفي الاصل اصرفت والمصرفا والمقصود (اسرفت والمسرفا) والبحر من مجزوء الكامل ويتترج بمجزوء الرجز

نادي الهي فاقبل عبدًا ببابك مدنفا
يا ربِّ إرحم شقوتي قبل أن أموت وإنا فا
يا ربِّ إقبل توبتي كقبول مريم والصفا
يا ربِّ كن لي ناصرًا يا ربِّ كن لي مسعفا
يا ربِّ غيرك ليس لي بل انت حسبي وكفى

وقال يندب نفسهُ ويحثها على التوبة ويطلب من الله ان يعاملهُ بالصفح والغفران لذنوبه مستشفعاً بابنه سيدنا يسوع المسيح وبآلامه وموته وشفاعة امه مريم العذراء وذلك سنة ١٧٥٠ وهو في اللاذقية. وهي ثمانية وسبعون بيتاً نقتطف منها قوله:

فكيف ولي نفس الى الشر ميلُها يفوت انحدار الماء من ذروة الجبلِ
فتأمرني بالسوء والطمعُ قابلٌ وحبُّ الدنى يغري وابليس لم يزلِ
فما لي جسم لو ان خصماً لقيتهُ ولكن ثلاثاً قهرهم يُعجز البطلِ
أبيت بعزم للصلاح مصمّماً واصبح القى القلب بالاثم قد حفلِ
فارتدّ مقطوع الاماني مؤيساً (١ وما لي رجاء بالخلاص ولا املِ
تطمّعني نفسي باحسان خالقي ورحمته العظمى لتبتاح بالكسلِ
ولم تدرِ ان الله مرٌّ عقابهُ ولم يرحم ألّا مَن عن الشرّ قد عدلِ
فحسبكِ يا نفسي الجنوح الى الشقا وسعياً وراء دنيا وحبًّا لما سفلِ
تهيمين باللذات والذات والغنا ولم تدري أنّ السمّ في ذلك العسلِ

الى ان قال:

لقد سُؤتُ آدابًا بما قمتُ فاعفُ عن جسارة من قد ذاب خوفًا وإنتحلِ
وقد ضاع رشدي من تنامي مآثمي وما عدتُ ادري ما اقول من الوجلِ
وليس جزائي غير نار أجيجة اذا أنت لم ترحم اولي الضعف والفشلِ
ولكنّ ذا الاحسان والجود والسخا يجود بلا وقفٍ ويعطي بلا عللِ
لهذا فلم اقطع رجائي من السخا الالهي وارجوهُ وادعو ولم ازلِ ---

٣ الوصف

وقال يصف وادياً زائد البهجة والبهاء مرَّ بهِ في بلاد صهيون وذلك سنة ١٧٥٠ م من قصيدة جمعت ستة وخمسين بيتاً منها:

بين الطلول جوار نهر جارِ بتنا على فرشٍ من الازهارِ
في سفح وادٍ عُطِّرت ارجاؤهُ من طيب ازهار وعرف نوار (٢

---

١) الاولى آيساً

٢) لو قال بهار ونحوها لكان اقرب الى قصدهِ

وادٍ وقانا روحه حرّ الهجيـ   م لفرط ما اخضلّ (١ من الاشجارِ
وادٍ سقاه الله مرفضّ الحيا   وافاض فيه مجاريَ الانهارِ
وادٍ كساه الله انواع البها   بازاهرٍ كجواهرٍ ونضارِ
وادٍ حكى روض الجنان لما حوى   من حسن روضات وطيب صحاري
وخمائل ومناهل ومراتعٍ   ومنامٍ ومسارح ومساري
فبكل ناحية ظباءٌ رتّعٌ   وبكل قطر منزلٌ ومجاري
وبكل زاوية رياضٌ اينعت   وبكل دوح نغمةُ الاطيارِ
ولكثرة الاشجار والاثمار والازهار   والاطيار والانهارِ
فحسبتهُ الفردوس حُطّ من العلى   او أنجم الجوزاء في الاسحارِ
من احمرٍ قانٍ وابيضَ ساطعٍ   مع زرقة وكصفرة الدينارِ
فترى الشقيق مشققاً ثوب الردا   مذ سومنُ الاحزان عاد كهاري
والبان قد طرد الردا وابانهُ   لما ابان جمالهُ للنظّارِ
والآس عاد ممزّقاً ثوب الاسى   وغدا يواسينا من الاضرارِ
وكذلك المنثور قد نثر الجفا   وأتى الاقاحُ باطيب الازهارِ
وعيون نرجسنا النواعس احدقت   لمّا غدا متمزّق الازرارِ
وغدا الرقيب مضاعف الاحزان مذ   نمّ (٢ به النمّام للحضّارِ
والاقحوان ادلّ حول فقاحهِ (٣   كدراهمٍ نُظمت على دينارِ
والورد اورد في الحديقة نشرهُ   وشذاؤهُ قد نمّ في الاقطارِ
والروض فاح عبيرهُ والطير صا   حَ عشيرهُ والماء ساح مجاري

الى ان قال :

وتراقصت ايدي الغصون وغنّت الـ   ـورقاء ساجعةً لشدو هزارِ
وافترّ ثغر الزهر لما ان بكت   مقل الغمام بدمعها المدرارِ
وتكللت تيجان عانك الربى   دررُ السحاب ولؤلؤ الامطارِ
والماء سلّ سيوفه لما اكتسى   درعاً تزرّدهُ صبا الاسحارِ
وسعت جداوله كمي اراقمٍ   تسعى بجدٍّ في لجينٍ جارِ
قد رقّ لطفاً واستلذ ترشّفاً   من حسن منهلهِ وطيب مجاري
وتلامعت حصباؤهُ فحسبتها   كبرى وصغرى النجم ودراري
فكأنما والماء يجري فوقها   حبل المجرّة في الثوابت ساري

١) الأولى (لفرط أظلالٍ من الاشجار)
٢) اشبع الميم وذلك كثير في نظمه
٣) الفقاح جمع فقحة وهي زهر كل نبت

وسرت على عذباتها ريح الصبا سحرًا فأحيت ميّت الاكدارِ
نثرت علينا من شذاه نفحةً فحسبتها سرًّا من الاسرارِ
روّح بمرّك يا نسيم حشاشتي فعسى تمرُّ بروح قلبي الساري

ثم انتقل الى وصف موطنه واهله الى ان قال :

كم نشأةٍ لي بينهم وفكاهةٍ ومسرّةٍ عُدمت من الاكدارِ
يا طالما بتنا غبوقًا نحتسي بنت الدنان وراحة الخمّارِ
راحًا أبت من لطفها وصفائها السكنى بغير مواضع الاسرار
ما طاف ساقيها علينا في الدجى الّا حسبنا مطلع الانوار
وتشعشعت في كاسها وتجليت(١ كعروسةٍ جُليت مع الابكار
من كل حاليةٍ وعاطلة الطلى غنّت على العيدان والاوتار
مع صوت شادٍ للمثنى ألحانهُ تُتلى على القانون والمزمار
وتناثرت درر المعاني من ذوي الافضال بعد تنظّم الاشعار
في ذلك المغنى الفريد وموطن الانس السعيد ومسكن الاخيار
دارٌ اناخ الفضل في ارطانها وعلا على الجدران والاسوار
دارٌ ازاح الله عنها كلما يزري بها من شائب او عار
مني السلام عليك يا دار الهنا ما غنت الورقاء في الاشجار
مني السلام عليك يا دار الوفا ما جادت الافكار بالاشعار

وقال يصف واديًا فيه نهر عظيم وذلك سنة ١٧٦٠ م بقصيدة نسجت من ثمانية عشر بيتًا منها :

رعاك الله ما ازهاك وادٍ وما اشهى غديرًا فيك مارر(٢
كأنك بالبهاء فردوس عدنٍ وغدران جرت فيك الكوائر
يمرُّ الماء فوق ثراك يحكي لجينًا والنضارُ لهُ حفائر

الى ان قال :

يجرّ من النسيم عليه درعًا ويسّل العوالي والبواتر
ويقتحم العجاجة كالمغازي ويزأر زائرة الاسد الكواسر
يثار عليه يصدمهُ كجيش ويثنى عساكر طردت عساكر
تراهُ منذ بدا الاشراق يجري كرعد قاصف ينقضُّ هادر
ويحكي فضلة تتلي فتجري على الحصبا كدرّ في جواهر

---

١) لا يراعي القواعد الصرفية والاولى (تمثّلت)
٢) فك الادغام هنا وهو كثير في نظمه

وشكل اراقم تسعى بجوفٍ   من الحاوي ومن راقٍ وزاجرْ

وقال يصف روضة حسنة من رياض حمص يمرّ بها العاصي وذلك سنة ١٧٥٠ م بقصيدة مؤلفة من ثلاثة وعشرين بيتاً معاً:

رعى الله يوماً طاب فيه لنا البسطْ   بروضٍ تحاكيه بتدبيجها البُسطُ
قضيناهُ بالافراح والسلم والهنا   بيوم من الاعمار ما زاره سخطُ
ترى الزهرَ فيه قد سما انجمَ السما   بما كلَّ عنه الحدُّ والعدُّ والضبطُ

الى ان قال:

ومالت به الاغصان مرحاً من الصبا   كميل النشاوى حين يوذيهم ضغطُ
وصال به الدوحُ الخصيب كأنهُ   جيوش يغازي رهطهم في الوغى رهطُ
ومن حوله العاصي يدور كأنهُ   مياهُ الفرات يحوطها ذلك الشطُّ (١
وامواجه تسعى كجندٍ وجندلٍ   غدا بعضهم رغماً على بعضهم يسطو

ثم قال:

وبعد انحصار عاد يجري كفضةٍ   ونثر لآلٍ لا ينظمها سمطُ
وفاض على ناعورة دار قوسها   زوايا كرات زان مركزها نقطُ

وقال: وقد زار هذا الروض صوبٌ من الحيا   ونثر من الفردوس ما شابهُ خلطُ
ولو بات فيه شائب زال شيبهُ   وان دام فيه الشاب ما شابهُ وخطُ

وقال يصف احد الرياض الحسنة وقد كثرت مياهها وازهارها ورقَّ نسيمها وماؤها في نواحي كسروان سنة ١٧٥٧ م بقصيدة مركبة من تسعة عشر بيتاً وهي التي نشرت بعضها مجلة المشرق (١٠ : ٧٠٨) وبين الروايتين اختلاف نشير اليه ونشرناها هنا برمّتها:

لقد زاد الجوى صوتُ القماري   وذكّرني الاحبّة في السحاري (٢
وتغريد الحمامْ اذا تبدّى   بدا فينا الهيام الى الديارِ
ومذ صاحت مطوّقة وناحتْ   على إلفٍ نأى شبّت اواري (٣
وما صوّت (٤ لنا الشحرور الّا   طفى مني الحرور وقلّ ناري
وما غنّت لنا الورقاء الّا   غصون الروض قصت (٥ كالجواري

---

١) والاولى (مياهُ فرات حاطها ذلك السطُ
٢) رواية المشرق والسحاري وفي الاولى (في الصحاري)
٣) هذا البيت وما بعدهُ لم يرد في المشرق
٤) الاولى (وما غنى)   ٥) الاولى (ترقص)

واصوات البلابل قد اهاجت　　بنا حرّ البلابل في القفارِ
وقد طابت لنا الاوقات حتّى　　تخيّرنا بها هتكَ الستارِ
فقلت (١ لرفقتي يا قوم هاتوا　　لنغتنم المُنى في ذي الصحاري
ونجتلي الصبابة والحميّا　　ونقترح الفكاهة بالعقارِ
فدارت بيننا كاسات راح　　وريحان وورد مع بهار (٢
وقد ضرب الغمام لنا خياماً　　سرادقها كست تلك البراري
ومرّ بنا نسيم البان لمّا　　ابان لنا صبابة ذا النهار
وقد ذرفت عيون السحب درّاً　　كما زهر الربا حلل النضار (٣
وكللها بياقوتٍ ثمين　　وتيجان اللجين مع النضارِ
فنمّ اريجها الارجاء طرّاً　　وعطّر نشر هاتيك الصحاري (٤
وذكّرني شذا الشهباء لمّا　　يضوع عبيرهُ وقت السحاري
وينعش قلب مرتاضٍ ويجلي　　صدا عقل الانام من البخار
فحيّا الله تربتهم وماها　　وطيب نسيمها كلّ النهارِ
وحيّا اهلها اهل الصبابة　　اهيل المجد عنوان الفخار (٥

٤ التهنئة

لم نقف له من هذا الباب الّا على قصيدتين لاولهما عشرة ابيات هنأ بها احد اصدقائه مؤرخاً طلاق لحيته وذلك سنة ١٧٥٧ م وهو في سيواس :

لله درّك ماجدٌ　　في الدهر ما لك من مثالْ
قد حزتَ اعلى رتبةٍ　　لمّا سمَتْ منك الفعالْ
وملكتُ مع حسن الثنا　　حسن السجايا والخصالْ
قد زدت إفضالاً ورزقاً　　مع وقارٍ واكمالْ
لمّا غدوت متمّماً　　ما هُوَ على التوقير دالْ
وبلحية حسناء قد　　زينت ارباب القذالْ
وسموت قدراً اذ بها　　تسمو كمالات الرجالْ
اذ عمّك الحسن الذي　　ما كنت قبلاً منهُ خالْ

الى ان قال :

وغدا الكمال منادياً　　لي ارّخوا بلَغَ الكمالْ　　١١٥٤ هـ

١) رواية المشرق (وقلتُ)　　٢) وفي المشرق (ثمار)
٣) وفي المشرق (الفخار)
٤) وفي المشرق : فنم اريجها في القطر طرّاً　　وعطر نشر هاتيك القفار
٥) وفي المشرق : وحيّا اهلها اهلاً كراماً　　ذوات الفضل عنوان الفخار

والثانية هنأ بها يوسف ابن اخته في عرسه سنة ١٧٦٣ م وختمها بتاريخ رشيق. وهي اربعة عشر بيتاً مطلعها :

خيرُ الزفاف واسعدُ الاعراسِ   مترافقاً بالسلم والايناسِ

الى ان قال :

الله اوصى بالزواج وحلَّهُ   واباحهُ امرًا لكل الناسِ
لكنا احفظ فراشك طاهرًا   متحذرًا من ذلَّة الادناسِ
لتكون موضوع السلامة والتقى   وملازم التبريك والاقداسِ
وترى بنين(١ ابنك حولك جمَّاً   كالنخل والزيتون ثم الآسِ

وختمها بتاريخ قائلاً:

وغدا السرور مع المؤرخ ناطقاً   خير الزفاف وأبركُ الاعراسِ

٥ النصيحة

وقال ينصح ويحرض محمد اغا بن رستم أَلَّا يحزن على ولده المائت ويعرفهُ انه ليس كل ولد بنافع ويستحقّ ان يُبكى عليه وذلك سنة ١٧٤٢ م وهي اربعة واربعون بيتاً نختار منها بعضها ومطلعها :

لا تبكِ يا ذا الاصل غصناً يُقصفُ   ما دمتَ حيّاً انت عنه مخلفُ
فالاصل يفرع مخلفاً اضعاف ما   منه ذوى فلذاك لا يتأسَّفُ
او كلّ غصن تُرتجى اثمارهُ   ام كلّ عودٍ من جناهُ يُقطفُ
ما كل مولودٍ يحاول نفع وا   لدهِ ولا كلٌّ هو (٢ لك يوسفُ
كم من وليدٍ شان والدهُ وكم   لوجودهِ امسى ابوهُ يأسفُ
لا تبكينْ وليدك المفقود بل   سلّم امورك للاله فتُسعفُ
مَن ذا الذي دامت لهُ الدنيا ومَن   ذاك الذي بين الورى لا يحتفُ

ومنها :

ابن الملوك وابن ارباب النهى   ابن الذين بنوا القصور وزخرفوا
كلٌّ الورى قد صيغ من هذا الثرى   واليهِ كلٌّ بعد حين يعطفُ

وقال ينصح احدهم القائل « دعني مثل ابي وجدي » وذلك سنة ١٧٦١ م في قصيدة أبياتها ثلاثة عشر بيتاً منها :

١) والاولى حذف النون وكان يمكن ان يقول (وترى بنيك وولدهم في كثرة)
٢) يكثر في شعره الاشباع ولاسيما في مثل هذا الضمير

أفقِ من سكرك المذموم واصحو وكن لكلام ربِ الخلق صاغِ
تمسّك بعد فحص وامتحان بخير حقيقة فُضلى بلاغي

ومنها :

بل اتّبع الهدى والحق تلفي طريقَ الله واسعة الفراغِ

وقال ينصح القريب ويهاه عن كل الشرور وذلك سنة ١٧٦٢ م في مصر بقصيدة أبياتها ثلاثون منها :

ان رمت تجتازَ يا ذا خير مجتازِ أصغي لنصحي واوعِهِ باحرازِ
ومن لسانك عن هذر وشقشقةٍ بل عوّدنهُ على قصرٍ وايجازِ
ولا تفهْ بكلامٍ تحت توريةٍ كلّا ولا بفضاحينٍ والغازِ
واستلزم الصمت وابعد عن اخي سفهٍ قولاً وفعلًا وكن عنهُ بمنحازِ

ومنها :

واحذر من الشرِّ والخلق الرديّ وكن للناس ذا سيرةٍ حسنى كفهّازِ
ولا تفه بوعود لا تقوم بها بل كمّل الوعد في صدقٍ وانجازِ
ولا تكن كاسلًا في ما كلفتَ به كيلا تُجازى باذلالٍ واعوازِ
ولا تُبح سرَّك المكتوم تسقطُ من افشائهِ في فمِ واشٍ وغمّازِ (لهُ بقيّة)

الفنون الجميلة والكنيسة

نظم حضرة الخورفسقفوس جرجس شلحت السرياني الحلبي (تابع)

الحركة المنتظمة او الرقص

صفٌّ يسيرُ من وراءِ صفِّ في حفلةٍ أجلُّها عن وصفِ
هذه هيَ الحركةُ المنتظمَهْ - تجدُها في طبعِ كلِّ نسمَهْ
جذبٌ ودفعٌ مبدأُ العوالمِ من كلِ جارٍ في الفضا وعائمِ
وهوَ نظامُ سائرِ الكواكبِ من كلِّ نجمٍ ثابتٍ وثاقبِ
فالكونُ يُلقى أبدًا في حركَهْ وقيلَ فيها المرءُ يلقى البركَهْ
فأوّلًا تحرّكتْ بالطبعِ أقدامُهُ تحتَ فروضِ الشرعِ

لِجَلبِ نفعٍ أو لِدفعِ ضَرِّ … مُحاكيًا لِحَيوانِ ٱلْبَرِّ
ثُمَّ ٱنْثَنَى حتَّى بوَقْعِ قَدَمِهْ … يُفرِعُ أسبابَ ٱلسَّما بِسُلَّمِهْ
لحركاتِ ٱلزُّهرِ كم من وزنِ … يلقنُ ٱلإنسانَ فَنَّ ٱلزَّفنِ
لعقلهِ قد كُشِفَتْ أسرارُهْ … وإنْ على ٱلطَّرفِ ٱختفَت آثارُهْ

. . . .

لقد دَرى بِحَرَكاتِ ٱلفَلَكِ … فراحَ يَحكيها بغيرِ دَرَكِ
مُستخدِمًا لِلحَزمِ وَٱلإدراكِ … لعلَّهُ يَنجو من ٱلأشراكِ
مُؤْتَسِيًا بِبُلْبُلٍ في قَفَصِ … قد مارسَ ٱلرَّقصَ عقيبَ ٱلقَنَصِ
علامةُ ٱلحَيوةِ فيهِ ٱلحركَهْ … وَٱلسَّكَناتُ مَظهَرٌ لِلهَلَكَهْ
يطيرُ وقتًا ثُمَّ وقتًا يَقَعُ … هاتيكَ إيقاعاتُهُ يا أَلمَعُ
تُذكِرُهُ حُرِّيَّةً في ٱلْمَنزِلِ … وعهدَهُ معَ ٱلحبيبِ ٱلأوَّلِ
فيبتغي تَخَلُّصًا من أَسرِهْ … مُؤَمِّلًا عَودَتَهُ لِوَكرِهْ
تغريدُهُ يُطرِبُ ٱلفؤادا … وزفنُهُ يُرقِصُ ٱلجمادا
هذا الذي غِبطَتَهُ قد فَقَدا … وَجَدُّهُ عنِ ٱلنَّعيمِ أُطرِدا
هذا الذي معَ تَمادي ٱلزَّمَنِ … كأنَّهُ نَسِيَ عهدَ ٱلوطنِ
كَعَندَليبٍ نَسِيَ ٱلأَليفا … وجنَّةً كانَ بها مَشغوفا
فألِفَ ٱلدُّنيا وعافَ الدِّينا … وشوَّهَ ٱلعاداتِ وَٱلفُنونا
ودَنَّسَ ٱلأقوالَ وَٱلأفعالا … وأفسدَ ٱلآمالَ وَٱلأعمالا
فوَلَجَ ٱلفسادُ فَنَّ ٱلرَّقصِ … لِما سَرى في جِسمِهِ من نَقصِ
لكنَّهُ في بَدَنِهِ رِياضَهْ … ونِعمةٌ على ٱلفَتى مُفاضَهْ
بل كانَ مِن شعائرِ ٱلعِبادَهْ … يُرافِقُ ٱلإنشادَ وَٱلإشادَهْ

وقد غدا بينَ فنونِ الشكلِ   والصوتِ مثلَ همزةٍ للوصلِ
سلسلةٌ فنونها مفرَّعه   عن وحدةِ الصناعةِ المنوَّعه
يجمعُ ما بينَ البنا والرسمِ   وبينَ فنِّ الموسيقى والنظمِ
تجلّي النظامِ تلكَ في المكانِ   وهذه مجلاهُ في الزمانِ
والرقصُ ظلُّ مظهرِ النظامِ   في الأينِ والآنِ لدى الأنامِ
مزاولو الزفنِ ذوو قوامِ   وصورةٍ وهيئةٍ انتظامِ
ضمّوا الى الإيقاعِ في الأنغامِ   حركةَ الأقدامِ في هندامِ
وظهروا بمظهرِ احتشامِ   في معرضِ الإقدامِ والإحجامِ
فالرقصُ بعضُهُ منَ الحرامِ   والشرِّ بل مجلبةُ الحمامِ
لأنّهُ يحرّكُ الأهواءَ   فتورثُ الأسواءَ والأرزاءَ
نصيبهُ نصيبُ كلِّ فنِّ   ذووهُ في خلاعةٍ وأفنِ
وإنّما الزفنُ منَ الفنونِ   مرمى أماني بني اليمينِ
داودُ قامَ بشجونِ الزفنِ   وكانَ ملكًا مولعًا باللحنِ
أمامَ تابوتٍ لذاكَ العهدِ   وقد بغى إرضاءَ ربِّ المجدِ
وتجدُ الطغماتِ يومَ الحفلةِ   تسيرُ سيرَ الشهبِ حولَ البيعةِ
يرفلُ كلٌّ منهمُ في حلّةٍ   كأنّهُ البدرُ بدا في دجنةِ
والهيكلُ الكاسي ضروبَ الزينةِ   تبصرهُ منَ البها في شعلةِ
والأرغنُ الشادي الشجيُّ النغمةِ   تسمعهُ مؤثرًا في الصخرةِ

الموسيقى

وههنا أوسعُ المجالا   إلى فنونٍ تعجزُ المقالا
تلكَ التي مرّتْ بنا للنظرِ   وكم تنالُ إنْ بدتْ من حبرِ

لكنَّ هذهِ خُصِصَتْ بالسَّمْعِ   وكم نحوزُ إنْ شَدَتْ من نَفعِ
فآلتا الحسنِ هُمَا عَيْنُ الفتى   وأُذْنُهُ(١ وَٱلأُذْنُ أَوْلَى بِالنُّهى
تلكَ تَرَى المياهَ في ٱلْغديرِ   وَهٰذِهِ تُصيخُ لِلْخَريرِ
تلكَ تَشيمُ بارقًا من نورِ   وهذِهِ تَسمَعُ رعدَ الطُّورِ
وَٱلْكَهرَبا وقوَّةُ البُخارِ   أَثَرُها في مسمَعِ النُّظَّارِ
أَشدُّ ممَّا تجتَلِيهِ العينُ   فبينَ نصتٍ وَرُنُوٍّ بَونُ
وكم تَرَى ٱلأَكمَهَ سامي العقلِ   وتجدُ ٱلأَصمَّ طامي الجهلِ
ومن أُصيبَ بضياعِ البَصَرِ   والسَّمعِ لم تَعْدُدْهُ بينَ البَشَرِ
ولو غدَتْ أُرجوزَتي مُناظِرَهْ   لطالَ وصفي لهُما مُفاخِرَهْ
لكنَّني زَعَمتُ أَنَّ السَّمْعا   الى الشُّعورِ بالجمالِ أَدعى
فإنَّ بعضًا من مَزايا ٱللهِ   عن رَمْقِها يَقصُرُ طرفُ السَّاهي
وَهْيَ اذا أعارها سَماعَا   أَعمى تَطيرُ نَفسُهُ شَعاعَا
وكلَّما تَرَقَّتِ الخلائقْ   زادت على العينِ خفا خلائقْ
وان غدا ٱلكونُ لنا في صَمتِ   لم نَجتزِئْ بما بدا من سَمْتِ
وَبَقِيَتْ مستورةً حقائقُهْ   عنَّا ولم تُكْشَفْ لنا دقائقُهْ

١) ان البَصر والسمع هما آلتا الحسن الطبيعي والصناعي دون سائر الحواس. والحجَّة في ذلك ان التأثير المتأتي عن اللمس والشمّ والذوق لا يُحدث إحساسًا ولا تصوُّرًا البتَّة. على ان اللَّيِّن والصُّلب والحارّ والبارد والأَرِج والذَّفِر واللذيذ والتَّفِه إنما هي فواعل عقيمة بذاتها يُمكنها ان تمدَّ للنفس بعض عواطف وتذكّرها ببعض افكار بيدَ انَّها ليست بكفيَّة ابدًا ان تُصدر تلك العواطف والافكار. واما البَصر والسمع فهما رائدا القلب والعقل وما المنظور والمسموع سوى محوَّر الاحساسات والتصوّرات. وعندي ان السمع يخدم العقل خدمة لا يؤدّيها البَصر وفي المتن أدلَّة على ذلك لا يذوقها الّا أُلو النظر. انتهى مُلخَّصًا عن جزء الصناعة من كتاب النجوى وهو الجزء الذي هذه الارجوزة المبتكرة هي زُبدَتُهُ

وإنّما الكونُ له أصواتُ فإنْ عدَتْه حلّهُ المَواتُ
بل نغماتٌ كوّنتْ رخيمهْ ومُوسِقاهُ جزلةٌ فخيمهْ (١
هذي بدت عبارةَ النظامِ لدى المَلا وحِليةَ الأنامِ
كانت تعمُّ الشعرَ والخطابهْ قال عنترٌ قِدماً شدا خطابهْ
عندَ جميعِ ناشئاتِ الأممِ من قبلِ سُحبانَ العريقِ القِدمِ
كلاهما بَنتْ على الأوزانِ مَشفوعةً بنبرةِ الألحانِ
أوميرُسٌ كانَ يُغنّي شعرهْ والمرءُ بعدَ الشعرِ عدَّ نثرهْ
والشعرُ مُشتقٌّ من الشعورِ والموسقى إلهةُ السرورِ
بل ربّةُ الحكمةِ والشجاعهْ وَقتاً ووقتاً ربّةُ الخلاعهْ
وإنَّ من شعرِ الورى لحِكمهْ طوراً ومنهُ تارةً لوَصمهْ
عن الأسى تلكَ روَت أحيانا وذاكَ أخرى يبعثُ الأحزانا
فالأخوانِ يطربانِ الصخرا خنساؤنا ترثي أخاها صخرا
إذ فُصِلت من بعدُ فنّاً عنهُ كأنّها في البدءِ ليست منهُ
فصلَها الفرنجُ والأعلامُ دروا بأنَّ شعرَهم أنغامُ
قد بخسُوهُ حقّهُ لمّا غدا رِتاجُهُ عن موسقاهم موصَدا
وحينما تفنّنوا فألّفوا بغيرِ شعرٍ جوقَهم لم يُنصِفوا
بل أنصفوا لأنهم أجواقُ بموسقاهم وقعَ الوفاقُ

. . . .

١) طالع قول الخطيب الفرنسوي الكبير الاب منبراي المثبّت في مقدّمة النجوى (ق ١ ف ص ٨٤) حيث فسرت آية الكتاب البديعة وهي: « رتّبتَ كلَّ شيءٍ بمقدارٍ وعددٍ ووزنٍ » راجع سفر الحكمة (١١ : ٢١)

ما بالُنا تجرُّنا الأفكارُ   والموسقى (١ مطلبُنا المختارُ

هذه لَها عندي المقامُ الأوّلُ   لأنّها الإحساسُ والتعقّلُ

مُجتمِعَينِ جامِعَينِ الفارقا   مُقوِّمَينِ حيوانًا ناطقا

هذهِ هيَ الإيقاعُ من ترجيعِ   صدى الدُّنى عوالمِ الرقيعِ

فعن نظامِها بدا الإيقاعُ   فوضعَت أصولَهُ الأسماعُ

وعن قصيفِ الرعدِ والتيّارِ   وعن حفيفِ ورقِ الأشجارِ

وعن صفيرِ الريحِ والإعصارِ   وعن خريرِ الماءِ في الأنهارِ

وعن هديرِ الوُرقِ والقماري   وعن غناءِ سائرِ الأطيارِ

لكنّهُ المزارُ لا يبتكرُ   فموسقاهُ نقصُها مقرّرُ

لكونهِ لا يملكُ الأفكارا   وإن حكى بصدحهِ المزمارا

هذا لقد صنعهُ الإنسانُ   فهوَ لهُ لا صدحهُ عنوانُ

وإن تغنّى المرءُ فالمزمارُ   مقصِّرٌ إذ صوتهُ مضمارُ

لكلِّ فكرٍ بالسما يعلّقُ   لذا عن المزمارِ حقًّا يفرقُ

ولو رأيتَ المرءَ فيهِ ينفثُ   بالنفخِ ما على الخشوعِ يبعثُ

إذا درى بصوتهِ المحدّثُ   بكلِّ آلاتِ الغناءِ يعبثُ

فآلةُ التطريبِ لن تعبّرا   كالصوتِ عن وجدانهِ إن فكّرا

ويعجزُ الشحرورُ عنهُ منشدا   لأنّهُ أعجمُ ما تغرّدا

بلى هوَ المنطيقُ فاقَ من شدا   في كوننا وراحَ يحيي المعبدا

لو راحَ يشدو نغمًا مبتدعا   بذهنِ من كانَ لهُ مخترعا

١) قال بعض الفلاسفة: « الموسقى حكمة عجزت عن اظهارها الالفاظ فاظهرتها الاصوات فلمّا ادركتها النفوس عشقتها »

خِلْتَ أَنَّ ٱلْحُسْنَ صارَ صَوْتَا وَأَنَّكَ ٱلسَّماءَ قد عَلَوْتَا
تَسْمَعُ فيها زُمَرَ ٱلْمَلائِكْ وَفِرَقَ ٱلْأَبْرَارِ في ٱلْأَرائِكْ
يُسَبِّحُونَ رَبَّهُمْ بِنَغَمِ «ماخَطَرَتْ على قُلُوبِ ٱلنَّسَمِ» ١)
وَٱلْأَرْغُنُ ٱلْبَاغِي مُحَاكَاةً لَهُ بِلَحْنِهِ عَابِدُنَا يُؤَلِّهُ
وَٱلْعَاشِقُ ٱلْمُدَلَّهُ ٱلْمُوَلَّهُ من سَمْعِ إِيقَاعَاتِهِ يَنْتَبِهُ
في هَيْكَلٍ أَصْوَاتُهُ تُعْتَبَرُ إِنْعَامَ رَبٍّ تَوْبَهُ يَنْتَظِرُ
وَإِنْ تَمَادَى في دَيَاجِي ٱلْغَفْلَةِ جَرْسُهُ يَجْعَلُهُ في يَقْظَةِ

(لهُ بقية)

سياحة اسقفيَّة الى بلاد بشارة

لحضرة المرسل اللبناني الفاضل الخوري ابراهيم حرفوش (تابع)

زيارة ميرون واثارها

في جنوبيّ صفد على مسافة ساعة ونصف منهـا تقريباً قرية حقيرة تُدعى ميرون وكانت في ايَّام يوسيفوس مدينة آهلة وقد ذكرها هذا المؤرخ في تاريخ الحرب اليهوديَّة وهو يدعوها مروت وجعلها الحدَّ الفاصل بين بلاد الجليل الاسفل والجليـل الاعلى من املاك سبط نفتالي وهي قائمة في اوَّل السهل على مرتفع من الارض قريباً من جبـل الجرمق الذي يعلو عن سطح البحر ١١٩٨ متراً . ولا يسكنها اليوم سوى بعض المسلمين واليهود

وقد اشتهرت ميرون بمدرسة يهوديَّة كانت تُعرف بمدرسة التلمود فرغبنـا في نظر آثارها ورافقنا في زيارتنا سعادة قنصل النمسة صديقنا . وكنَّا في طريقنا نلقى زوَّار اليهود عائدين الى صفد بعد تأديتهم في ميرون فرائض الاكرام لقبر ربّي شمعون احد مشاهير الربيين وتلميذ عقيبة الحبر الذي ازهر في اواخر القرن الاوَّل للمسيح . وقبرهُ قائم ضمن

١) راجع نبوَّة اشعيا (٦٤ : ٤) و ١ كورنتس (٢ : ٩)

حجرة فسيحة وعليه آثار الشموع والزيت الذي يتدفق من القناديل المسرجة لاكرامه. وفي حجرة ثانية نحو الجنوب قبر ابنه الربي العازر. وباقرب من القبرين مساكن ذريته يحلّ فيها الزوّار من اليهود . وفي لحف الجبل قبور اخرى عديدة اخصّها قبر الربيين الشهيرين وكاتبي التلمود الربي هلّل والربّي شمّاي. واليهود يكرمون هذه المدافن اكراماً فائقاً ويتقاطرون اليها في ايّام اعيادهم الوفا مؤلفة من صفد وجوارها فيقيمون عندها الافراح ويعاقرون الخمرة فيعودون المساء ثمالين الى ديارهم

اما مدرسة التلمود فانقاضها قائمة على شمال قبر الربيّين وهناك آثار مجمع من طرز مجمع الجش وكفر برعم كما سترى وجهته الشمال ومدخله من الجنوب وحائطه الجنوبي لم يزل معظمه قائماً وهذا المجمع مبني على صخر عظيم وسيع كقطعة من جبل هندمته ايدي العمال والحائط الغربي منقور في نفس الصخر وكذلك بلاط المجمع فهو الصخر ذاته هندمهُ العمال فصار بلاطة واحدة امّا الجداران الشرقي والشمالي فقد انقضا وتبعثرت حجارهما . وعرض هذا البناء ١٦ قدماً وطولهُ ٣٢ قدماً ويرجح العلّامة كرين انهُ يرتقي الى سنة ١٢٠ للمسيح . ومن عن شمال البناء على مسافة قريبة كهوف عديدة منقورة في الصخور بهيئة متقنة

ولما كانت الشمس تضيَّفت للمغيب همّمنا في العود الى صفد وادركنا المدينة عند اول الغسق والنفس في انقباض من الوحشة التي شاهدناها في ميرون وعلى الطريق اذ لا انيس للمسافر سوى بعض اشجار السنديان وبعض اشجار زيتون قديمة العهد شاهدة على فناء الاجيال من البشر الذين زرعوها واستثمروها ولا تسمع الّا الذباب والبعوض ونعق البوم وهدير الحمام البرّي . ولمّا طرق اذني شجوها تذكرت ما قالهُ الشاعر :

لقد راعني للبَين نوحُ حمامةٍ … على غصن بانٍ جاوبتْها حمائمُ
هواتفُ امّا من بكينَ فهدهدٌ … قديمٌ وامّا شجوهنّ فدائمُ

وفي يوم الاثنين الواقع في ٨ من تشرين الاول قمنا من صفد نريد زيارة موارنة كفربرعم فسرنا شمالاً مجتازين في مزرعة عين الزيتونة حتى بلغنا طيطبا وهي قرية يسكنها المسلمون ودورها مبنيَّة بالحجارة البركانيَّة يتخلّلها شجر التين وفيها بقايا مدينة قديمة . وكان بودنا ان نعرّج على خربة النبرتين لنرى آثار ابنيتها السالفة وخصوصاً مجمعها

اليهودي البديع الصنع المثلث الاسواق المزدان بنقوش رمزيّة جميلة بينها الشمعدان ذو المشاعل السبعة لكنَّ ضيق الوقت لم يسمح لنا بذلك

وهنا ودَّعنا سعادة القنصل لادسلاس وشكرنا لطفهُ فرجع هو الى صفد وواصلنا نحن سيرنا الى كفربرعم ثم قطعنا سهل الجش البركاني ومررنا بقرية راس الاحمر فزرنا شيخها عليّ الايوبي ثمَّ مشينا الى الجش فبتنا فيها وفي صباح الغد غادرناها فوصلنا الى كفربرعم التي تبعد عنها نحو ساعة بالتقريب في شمالها . وعلوّها نحوٌ من ٨٤٠ مترًا فوق سطح البحر وكانت سابقًا من نصيب اشير وموقعها بين ثلاثة اودية شمالًا وغربًا وجنوبًا وسكانها كلهم موارنة يبلغ عددهم نحو ٥٠٠ يُقسمون الى عشرة بطون اقدمهم بيت الخوري الذين اصلهم من حدث الجبة قدموا الى كفربرعم منذ نحو ٢٠٠ سنة امَّا الباقون فمن جهات مختلفة فبيت سوسان من كسروان وبيت مخول ابي صافي من قليعة مرجعيون وبيت مارون تركيّة من رميش وبيت حنَّا موسى من عقتنيت وبيت السروع من سرعل ثمَّ قيتوله وبيت فرح من القوزح وبيت دياب من بيت لحم وبعضهم مجهول الاصل . واهل كفربرعم قوم اتقياء محافظون على سذاجة العيشة متهيئون لما ينطبع في نفسهم من الخير وكانوا يتلقَّون المواعظ التي نلقيها عليهم مدَّة اقامتنا بينهم بغاية الرغبة والتقى ومعظم عناية اهل كفربرعم في الزراعة والفلاحة ورعية المواشي كغيرهم من موارنة بلاد بشاره . وفي مدخل قريتهم تلال من السماد الذي يحرقونهُ بالنار ولو سمَّدوا بهِ اراضيهم لأصلحوها وانتفعوا منها ونجوا من روائحها الوبيئة كما نبَّههم الى الامر سيادة راعيهم . ولهم كنيسة ومدرستان يديرها الاباء اليسوعيُّون

وفي كفربرعم هيكل قديم او كنيس بديع لليهود ذو هندسة فخمة قد اصاب الخراب قسمًا منهُ فبدَّد حجارتهُ في كل انحاء القرية . وكان احد الاهلين سقَّف قسمًا منهُ بالاخشاب فجعلهُ كمنزل لسكناه فابتاعهُ منهُ سيادة المطران بولس بصبوص يوم زار هذه القرية ثمَّ فحصتهُ البعثة الالمانيَّة سنة ١٩٠٤ واجرت فيهِ حفريات كشفت رسمهُ الاصليَّ تمامًا وظهر البلاط الذي رُصفت بهِ ارضهُ . فكان لهذا الهيكل رواق يستند الى عواميد ضخمة بقي بعضها ودائرتها تبلغ مترًا و٨٥ س . وكانت سعة الرواق خمسة امتار و٥٠ س في وجهتهُ الجنوب كمدخل الهيكل . وكان يُدخل الى الهيكل من ثلاثة ابواب اكبرها الباب الاوسط . وعلى بعد مترين من هذا الجدار ثلاثة عواميد تقابل ابواب

المدخل الثلاثة بقي منها العمود المقابل للباب الاوسط مع قاعدتي العمودين الآخرين. وكان طول هـذا الهيكل ١٨ متراً و٤٠ س وعرضهُ ١٣ م و٤٠ س . ومعظم هذا البناء قد استولى عليهِ الخراب الَّا جدارهُ الجنوبيَّ اي مدخلهُ الذي لا يزال في حالة حسنة يمكن اصلاحهُ بسهولة . وكان فوق عتبة بابهِ الاوسط كتابة عبرانيَّة قرأها رينان هذا تعريبها « ليكن السلام في هذا المكان وفي كل امكنة اسرائيل . يشوع اللاوي ابن لاوي صنع هذه العتبة فلتحلَّ بركة الربِّ على عملهِ » . وهذه الكتابة لم نعثر على اثرها ثمَّ افادنا حضرة الخوري الجليل يعقوب غانم الذي سكن زمناً طويلًا في تلك الجهات انَّ في بيت طانيوس الخوري من كفربرعم حجراً عليهِ كتابة عبرانيَّة مطلية بالطين داخلة في جدار بيتهِ ولعل هذا الحجر هو الذي اشار اليهِ رينان وفسَّر كتابتهُ

اما تاريخ هذا الهيكل فهذا ما دوَّنهُ عنهُ المهندسون الالمان في بعثتهم الاخيرة يقولون انهُ من البنايات اليهوديَّة المشيَّدة على الطرز الروماني في غاية القرن الثاني للمسيح . وهم يرتأُون انَّ الهياكل اليهودية او الجامع التي ترى اثارهـا في كفربرعم وفي تلحوم وخربة تل البلاط وبقرب القورح وفي خربة النبرتين وفي الجش والصفصاف وخربة كازه وقصيون كلها من هذا العهد وعلى طرز واحد اي الطرز الروماني مع بعض نقوش ورموز يهودية كغصون الجفنة وعناقيد العنب . ولم يكن لليهود هندسة بنائيَّة خصوصيَّة بل كانوا يخلطون بين الهندسة الرومانيَّة والهندسة اليونانيَّة لا يتفرَّدون الَّا ببعض الاعراض . وكانت مداخل مجامعهم ابداً من جهة الجنوب ووجهتهم الشمال بخلاف الهياكل الوثنيَّة

معليا وقلعة القرين

للاباء اليسوعيين في قرية معليا مدرسة للاحداث ودير صغير لراهبات قلبي يسوع ومريم فعرض الاب بيليسيه مدير المدرسة اشغال قضت بذهابهِ اليها فاشتدت رغبتي بمرافقتهِ لمشاهدة قلعة القرين الشهيرة مع حصن جدين لو تيسر ذلك . والمسافة بين كفربرعم ومعليا نحو اربع ساعات فغادرنا كفر برعم صباحاً واخذنا وجهة الجنوب الغربي وبعد ربع ساعة مررنا بقرية سعسع القائمة على اكمة اشبه بحصن صعب المرام منيع المرتقى تشرف على السهول المحيطة بها وفيها آثار بنايات قديمة وهي واقعة في نصيب سبط اشير . وكان لليهود فيها مجمع ومدرسة عند ما زارها اسحاق شِلو الجوالة اليهودي سنة ١٣٣٤ .

ولظاهر العُمّر مواقع شهيرة مع سكان سعسع يرويها الكهول عن اجدادهم وسكّانها الحاليون من المسلمين يبلغ عددهم نحو ٥٠٠ نسمة تقريبًا

وبعد ان قطعنا السهل الممتد امام سعسع توغّلنا في نقب بين احراج دغلة لا صافر فيها ولا ديّار الى ان ادركنا بعد ساعة قرية اسلاميّة فوق رابيتين يفصل بينهما رهوٌ من الارض فيه اشجار الزيتون والتين والكرم واسم القرية دير القاسي التي دعاها الفرنج Cassie وكانت تابعة لامارة القصر الملكي في معليا وتعلو عن البحر ٤٤٢ مترًا شاهد فيها كرين آثار كنيسة بناها الفرنج سابقًا امّا آثار السور فهي حديثة

ثم انحدرنا من دير القاسي الى وادٍ عميق يدعى وادي المقا وهو من تشعبات وادي القرين الشهير واعطاف هذا الوادي تكسوه خضرة الاحراج ثوبًا جميلًا وبعد ان صعدنا من هذا الوادي عند ملتقى وادٍ اخر يدعى وادي الجيس او وادي الخرب وقع نظرنا على اكمة بين الواديين وفي اعلاها بناية قديمة كانت معبدًا او حصنًا تدعى خربة فرحاطه بقربها عين ماء

ثم واصلنا السير الى معليا فانكشفت لنا بعد قليل على شمالنا على رابية بديعة قرية طرشيحا التي دعاها قدماء الفرنج Tersiha اكثر اهلها المسلمون وهم نحو الفين لهم ثلاثة جوامع واحسنها جامع عبد الله باشا والي عكا . وفي طرشيحا ايضًا روم كاثوليك كان عددهم ٥٠٠ نفس لما زارهم كرين قبل ٣٠ سنة ولهم كنيسة . وكانت هذه القرية عامرة في القرون الوسطى وتابعة للقصر الملكي في معليا . ثم توغلنا في سهل مزدان ببعض اشجار الزيتون والتين وعيوننا شاخصة الى قرية معليا القائمة امامنا على رابية بديعة فدخلناها قرب الظهيرة

معليا بلدة قديمة كانت واقعة في املاك سبط اشير وكانت تدعى معلوت لوقوعها فوق تلّ عالٍ تحدق باعطافه اشجار التين ومزارع التبغ . وفي أعلى التل آثار حصن قديم بُني بنحيت الحجارة الضخمة وعلى جوانبه اربعة بروج . ثم تحوّل الحصن بعد ردحة من الدهر الى بلدة مسوَّرة تُرى منها بقايا صالحة . وفي مقربة من القرية اخربة حوض كبير منقور في الصخر . وقد تكرَّر اسم معليا في القرون الوسطى يدعوها المؤرخون بالقصر الملكي (Castrum regium) يتبعهُ عدَّة دساكر ابتاعها الرهبان الالمان سنة ١٢٢٠ من اثون كنت دي هنبرك

ومعليا يسكنها اليوم قومٌ من الروم الكاثوليك يبلغ عددهم نحو ٥٠٠ نفس وكنيستهم حديثة جدَّدوا بناءها على انقاض كنيسة أُخرى قديمة كانت تزينها العواميد المتوَّجة باكاليل من الطرز القورنثي

وبعد ان تناولنا طعام الغداء في معليا همّمنا في المسير الى قلعة القرين فامتطينا خيلنا وما ابتعدنا عن القرية بضع دقائق حتى وصلنا الى الطريق الرومانيَّة التي كان الرومان نقروها في الصخر يسيرون عليها عجلاتهم بين معليا والبصَّة وقلعة القرين لم يثبط همَّتهم في عملها وعورة هذه الامكنة . ثم انحدرنا بين الادغال والاحراج الى وادٍ يسمَّى وادي الدم وبعد ساعة لاح لنا ذاك الصرح الشامخ الذرى وهو مبنيٌّ بحجارة كبيرة عملت فيها صروف الزمان فحوَّلتها الى لون قاتم يقرب الى السواد وكان يثير فينا منظرها هواجس الافكار

عجبنا ما كلَّمتنا الدارُ اذ سُئلتْ وما جا عن جواب خلتُ من صممِ

ثم فتَّشنا على منحدر سهل الى وادي الدم لنزور هناك بناء قائمًا على ضفَّة نهر القرين الشماليَّة فقطعنا النهر من جهة الغرب بازاء القلعة ثم انعطفنا نحو الشمال فاذا بقبوٍ امامنا تكسو جدرانهُ آثار الدخان ممَّا اوقدهُ الرعاة في فصل الشتاء ليصطلوا بناره . وبالقرب منهُ صفَّة من البناء داخلة في النهر ذهب كثير من حجارتها ولعلَّها كانت جسرًا يعبرون فوقهُ الى القلعة . فدخلنا القبو واذا بهِ سرداب يتصاعد فيه السائر على درجٍ مُتقن النحت فرقينا الدرج وبلغنا الى بهوٍ واسع من الطرز الغوطي قد انقضَّ جداراهُ الغربي والشرقي وبقي سقفهُ وكان يُصعد من هذا البهو الى بناء اعلى ثم يُرقى منهُ تدريجًا الى ... الرابية المشيَّدة عليها القلعة على علو ١٤٠ مترًا عن النهر . لكنَّ انقاض البناء من الردم والتراب المنهال قد سدَّت السرداب المؤدي الى القلعة من الجهة الشماليَّة فلزم الامر ان ننحدر ونعود الى الجهة الجنوبيَّة لنتسلَّق الى أعلى القلعة من وادي الدم حيث كنَّا تركنا خيلنا فتوقَّلنا الربوة وبلغنا أعلى البناء بعد شقّ النفس

انَّ موقع هذه القلعة من احصن المراكز فكان اهلها امنع من عقاب فانها على هضاب متوعر يجري حولها نهر القرين غربًا وشمالًا في وادٍ عميق يدعوه سكَّان تلك الناحية وادي هردويل (Hardouin) احد فرسان القرون الوسطى . ويحيط بها جنوبًا وادي الدم امَّا الجهة الشرقيَّة فينتصب فوقها جبل صعب المرتقى حُفر بينهُ وبين القلعة خندق

عميق ومنهُ أُخذت الحجارة لبناء الحصن. فترى ان الطبيعة والصناعة اتفقتا في تحصين هذا المقام وكان طول القلعة مئتي قدم وعرضها ٣٥ قدماً وعلوها فوق البحر ٣٨٠ متراً بالتقريب

وقد اكثر كتبة الاجيال المتوسطة من ذكر هذه القلعة فانَّ غليلموس الصوري يدعوها فروشاستياوس (Frauschastiaus) ودعاها غيره بالجبل الحريز او منفور (Monfort) وكذا دعاهُ الفرسان الالمان في سجلاتهم ستاركنبرغ (Starkenberg). امَّا العرب فدعوهُ القرين وهو تصغير قرن بمعنى الجبل الصغير. والمظنون ان الرومان ابتنوا اولًا هذه القلعة ثمَّ حصنها هرمان سلزا (Hermann Salza) رئيس الفرسان الطوطونيين سنة ١٢٢٩ وسكنها رهبانهُ الى سنة ١٢٧٦ حيث دخلها بيبرس البندقداري ولم يبق منها اليوم الَّا جدارها الغربيّ والجنوبيّ حيث كان مدخل القلعة من الجنوب كما هو ظاهر من العتبة ومن محلّ مصاريع الابواب. وكذلك نجت من آفات الدهر آثار المعبد القديم الذي كان يقيم فيه الفرسان فرائض دينهم وقيل انهُ كان مستودع سجلّاتهم وهو بناء خطير غاية في الفخامة وكانت فيه العمد الكبيرة ترى منها قواعدها التي يبلغ محيط استدارتها ثلاثة امتار

وتجوَّلنا بين تلك الآثار فتمتَّعنا بها النظر وتأسفنا على ما فعل بها الدهر الكنود وكنَّا نفكر في من شيَّد ذلك الصرح الفخيم وكأننا نسمعه يقول:

ونحن عمرنا القصر كنَّا ولاتهُ ... نضاربُ عنهُ من اتانا وندفعُ
وما كان يبني ذاك في الناس غيرنا ... ولم يكُ حيٌّ قبلنا ثمَّ يمنعُ
وكنَّا ملوكاً في الدهور التي مضت ... كُسرنا فقل الله يولي ويرفعُ

وفي مساء النهار عدنا الى معليا فبتنا ليلتنا فيها وكان قصدنا ان نقوم صباح الغد الى قلعة جدين الشهيرة وهي تبعد عن قصر معليا نحو ساعتين وتُعدّ من افخم آثار القرون المتوسطة ثمَّ ربما ظاهر العمر والي عكة الَّا انَّ واقعاً لم يكن في الحسبان عرض لنا فاضطررنا الى تغيير سيرنا فعدنا الى كفربرعم. وترى في مقالتنا هذه رسم قلعتي القرين وجدين بلطف سعادة قنصل النمسة في صفد واعارنا اياها وكان هو رسمها في بعض اسفاره

(التتمة لعدد آخر)

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

ومن نظم بطرس كرامة المستجاد الذي لم يروَ في ديوانهِ قولهُ يرثي الامير بشير الشهابي لمَّا توفي في الاستانة سنة ١٨٥١:

اذا طلع النهارُ ارى الرجالا　　كما أبصرتُ في الليل الخيالا
واعجبُ كيف تطوي الارضُ ناسًا　　لو اجتمعوا بها كانوا جبالا
يخونُ الدهرُ شخصًا بعد شخصٍ　　كما ترمي عن القوس النبالا
اذا اغلقتَ دون الموت بابًا　　تناول الف بابٍ كيف جالا
ومن حذر المنيَّةَ عن يمينٍ　　تدور بهِ فتاخذهُ شمالا
من الله السلام على امير　　دفنَّا المجد معهُ والجلالا
كأنَّ الموت لم يجسر عليهِ　　مجاهرةً ففاجأهُ اغتيالا
فتىً كالسيف ارهافًا وقطعًا　　ومثل الرمح قدًّا واعتدالا
ومثل البدر اشراقًا وحسنًا　　ومثل الغيث جودًا وابتذالا
أجلُّ بني الكرام ابًا وجدًّا　　واكرمُ رهطهم عمًّا وخالا
واحسنهم واجملهم فعالا　　واوثقهم واصدقهم مقالا
كريمٌ من كريمٍ من كرامٍ　　بنوا في المجد اعمدةً طوالا
سليل امير لبنانٍ ينادي　　انا لبنان لمَّا ملتُ مالا
اذا قلتَ الامير ولم تسمِّ　　فلا يحتاج سامعك السؤالا
سألنا تحت ممنٍ عن نظيرٍ　　لهُ هل قام قال لا لا
ستبكيهِ البلادُ ومَن عليها　　الى ان تستعيض لهُ مثالا
وتُحمي الناسُ ما فمات يداهُ　　ولكن بعد ان تحصي الرمالا

الى ان قال:

لبستَ اليوم ثوبًا من بياضٍ　　فزاد جمالك الباهي جمالا
الى دار السعادة سرتَ فوزًا　　كأنك عاشقٌ يبغي الوصالا
رايت العيش في الدنيا طريقًا　　لها فاخترت اقربهُ مجالا
على رمسٍ ترأتَ بجانبيهِ　　سحابٌ يمطرُ الماء الزلالا
وتعبق فيهِ رائحة الخزامى　　ويسطع فوقهُ نورٌ تلالا

وقال مؤرخًا سنة وفاتهِ:

هذا الامير السعيد الحظ تخدمهُ　　ملائكُ الله حول العرش تجتمعُ

تقول ارقامُ تاريخٍ نحيط بهِ   انّ الشهاب على الافلاك ترتفعُ

ولهُ فيهِ تاريخ آخر حُفر على ضريحهِ في كنيسة الارمن الكاثوليك مرّ لنا ذكرهُ (المشرق ٧ : ١٧٦٣) . ومما روينا ايضاً لبطرس كرامة في مجلّتنا (٢ : ١١١٦ : ١١١٧) مناظرة فكاهيّة بين نارجيلة وماسورة

ومن مديحهِ الذي لم يُذكر في الديوان قولهُ يثني على البطريرك الجليل مكسيموس مظلوم :

قمْ للهناء فنسمة السحر   جاءت بريّاً عاطرِ الزَّهَرِ
واغنم من العيش الهني طرباً   عين السرور لمشرقِ الاثرِ
وارشق كؤوس الصفو من زمنٍ   راقت مشاربهُ من الكَدَرِ
ودعِ النسيبَ وكن على غزلٍ   بمديح بدر السادة الغُرَرِ
مكسيموس الحبر المقدس من   اضحى طهور القول والفكرِ
البطريرك المرتقى شرفاً   بفضائلٍ يشرقن كالقمرِ
ملأت قداستهُ الورى منحاً   متقودةً بالسمع والبصرِ
مولى تفرّد في الفضائل في   هذا الزمان وسالفِ العُصُرِ
راعٍ يقوم على الخليقة في   جدٍّ جديدٍ غير مندثرِ
ولكم بتصنيفٍ ومعتكفٍ   افنى الليالي الدهم بالسهرِ
ما زال مجتهداً بنيل منى   ولغير نيل العزّ لم يسرِ
يتلُ من فمِ التقى صمماً   فتّاكةً بالبيضِ والسمرِ
باتت على أمنٍ رعيّتهُ   ولطالما باتت على حذرِ
هو غوث ذي فقرٍ وذي نعمٍ   بذلاً ورشداً غير منحصرِ
بشرى لنا آل الكنيسة قد   نلنا بهِ مجداً على وزرِ
يا بدرَ علمٍ ضاء مشتهراً   شرقاً وغرباً ايَّ مشتهرِ
اوضحت من نهج الهدى غُرَراً   للناس كانت قبل في غَرَرِ
ورفعت شأناً كان منخفضاً   ما بين ناب الليثِ والظفرِ
وظفرتَ بالنعم السنيّة من   ملك الملوك الواهب الدُّرَرِ
فاسلَمْ لنا مولى وخير اب   يرعى البنين بصادقِ النظرِ
والى مقامك ان نؤرّخهُ   جاء الهنا بسلامة الظفرِ

ومما جاء لهُ في التهاني قولهُ في ولادة الامير عبد الله الشهابي حفيد الامير بشير سنة ١٢٣٥ لم تذكر في ديوانهِ :

يا سيد العدل والاحسان زد شرفاً   قد زادك اللهُ انعاماً وتأييدا
لك الهنا بحفيد كان مولدهُ   للسعد عزّاً والعلياء توليدا

فيا لهُ من كريمٍ ضاء طالعهُ واشرق المجد لمَّا هلَّ مولودا
لهُ السيادةُ من جدٍّ سما وابٍ اضحت يداهُ تفيضُ البذل والجودا
فلا يزال هو المحمود سؤددهُ مدى الزمان سعيد الدهر مسعودا
ولا تزال لك الأيام ضاحكةً والعيش رغدًا وطيبُ العمر ممدودا

وقال في فضائل الصيد (وليست هي في ديوانه):

للصيد فضلٌ في ثمان فوائدٍ من بعدها عشرٌ تشيد اساسَهْ
سلوان همٍّ ثم ترك بطالةٍ وفصاحة التعبير ثم سياسَهْ
وتراهة والذاذة ونشاطة ويقاظة ونباهة وحماسه
ورياضة الاجسام ثم طلاقة م الابصار ثم حلاوة وفراسه
وصيانة ثم اكتساب معيشة والعلم بالطرقات ثم رئاسه

ومما لم نجده ايضًا في ديوانه قولهُ في صَقْر كان فُقد ثم رجع:

تلالا البِشْرُ وانجلت الغياهبْ وحلَّ الانس في من كان غائبْ
وردَّ الله ضائعنا علينا وأولانا بذا نِعَمَ المواهبْ
وجاء الصَّقْرُ المفقود منَّا يرفرف بالتمائم والمكاسبْ
فكم طبنا بعودته قلوبًا وبتنا في الحديث له نعاتبْ
وانشدناه ما لك غبتَ عنَّا لعلك كنت انت منَّا هاربْ
فردَّ مجاوبًا ردًّا جميلًا معاذ الله لي من ذي الشوائبْ
وحاشا ان اخون العهد يومًا ولي مولى جليل القدر صاحبْ
ولكن قد شردتُ بنَسْمِ صقرٌ اعزّ الآلِ منّي والاقاربْ
أتى ضيفًا جديدًا في حمانا ترحّلًا والترحيل قِراهُ واجبْ
فسرتُ لملتقاهُ وجئتُ معهُ امينًا مطمئنَّ القلب طائبْ
لكني قد قضيتُ بذا هموما وكم قاسيتُ فيهِ من متاعبْ
وكم شاهدتُ اهوالًا ثقالًا واحوالًا رأيتُ بها العجائبْ
وكم كابدتُ في سفري عناء وكم فيهِ دهتني من مصائبْ
وكم لي وقفة مع كل حرٍّ وكم لاقيت شاهينًا محاربْ
وكم صادفت فيهِ من عُقابٍ شديد البأس قنّاصٍ معاقبْ
وكم من كاسر من كل طير تعمَّدني وجاء عليَّ واثبْ
هناك أبنت بطشي واقتداري وابديتُ العجائب والغرائبْ
وجرَّدتُ الاظافرَ من اكفٍّ مظفّرةٍ وانشبتُ المخالبْ
وبتُّ بكل ذي جنحين اسطو واقهر كلَّ خطّافٍ مضاربْ
فكم شتّتُّ منهم في الفيافي وكم بددتُ منهم في السباسبْ
وكم غادرتهم في الجوّ فوضى وكم افنيتُ منهم في الشعائبْ

ولم اقلك اسقيهم كؤوساً اجرعهم بها مرَّ المشارب
ولم اترك جسم الّا فراخاً بتاى في الشوش غدتْ نوادب
فثلي من يخوض وغى المنايا ويغزو هكذا ويعودُ غالب
انا المجلوبُ من كرمٍ ولكن بهون الله للاحرار جالب
فهنّوا سيدي بي في مقال يؤرّخ جاء بعد الرز كاسب

وقال لمّا دخل الاستانة العليّة مع الامير بشير يمدح دار السعادة :

مذ جئتُ اسلمبولَ شمتُ محاسنًا دعت المحاسنَ كلّهنّ الى الورا
فاوكها شرفُ الملوك وربّها خير الربوع واهلها تمم الورى

ولولا خوف الاطالة لروينا غير هذا من قصائده التي لم تُطبع في ديوانهِ. فاكتفينا بما سبق. ويحسنُ بنا القول في ختام كلامنا عن بطرس كرامة انّ ادباء عصرهِ عرفوا فضلهُ واقرّوا بهِ الّا البعض منهم. ولما قال قصيدتهُ الخاليّة الشهيرة التي التزم ان تكون قافيتها في جميع ابياتها لفظة « الخال » في معانيها المختلفة واوّلها:

أمن خدّها الورديّ أفتنكَ الخالُ فسحَّ من الاجفان مدمعك الخالُ

أُعجب بها كثيرون وأثنوا على قائلها. وعارضها الشيخ عبد الباقي العمري الموصلي بقصيدة كتبها في بغداد يمدح فيها داود باشا هذا مطلعها:

الى الروم اصبو كلما اومض الخالُ فاسكبُ دمعاً دون تسكابهِ الخالُ

وغيرهم خمّسوها كالشيخ ابراهيم يحيى العاملي والشيخ موسى بن شريف المشهدي وتخميسهما في ديوان كرامة (ص ٣٥١ — ٣٦٠). لكنّ الشيخ صالح التميميّ لم يستحسنها وكتب في تزييفها قصيدتهُ التي اوّلها:

عهدناك تعفو عن مسيءٍ تمذّرا ألاَ فاعفُنا عن ردّ شعر تنصّرا

فاستاء من ذلك الادباء. وكتب الشيخ رشيد الدحداح في قمطرة الطوامير انتقاداً مطولاً على صاحبها. واجاب عليها بطرس كرامة بقصيدةٍ من البحر والروي اوّلها :

لكل امرئٍ شان تبارك من برى وخصَّ بما قد شاء كلّاً من الورى

وقد وقفنا على قصيدة للسيد عبد الجليل البصري حكم فيها بين الشاعرين فقال قصيدتهُ التي افتتحها بقولهِ :

حكمتُ وحكمي الحقّ ناءٍ عن المرا بأنّ التميميَّ الاديبَ تمرّا

بذمّ قوافٍ في مقام جناسها وذلك نوعٌ في البديع تقرَّرا

ومنها في مدح بعض شعراء العرب :

وقد قام من اهل الكتابين زمرةٌ جنوا من رياض الشعر ما كان مزهرا
فمن كابن عبَّادٍ يجاري مهلهلا وكان مسيحيًا تقدّم بشكرا
وكالاخطل المعروف شاعر تغلبٍ يـروق به القسّيس في الدير كالقرا (١

ومنها في مدح بطرس كرامة :

كما شاع حرّ الشعر في بيت بطرسٍ وفي نجلهِ بين المداين والقرى
فصيحٌ رقى اوج البلاغة يافعًا فاثماره حلّى بها ربع قيصرا
لافكاره غرُّ القوافي قريبةٌ وعن غيرهِ بُعد الثريّا من الثرى
اتى منهُ نظمٌ هدّ حجة صالحٍ وان كان في المنظوم قدمًا تصدَّرا
وقد كان لي من صالح خير صحبةٍ وعند اتّباع الحقّ ما زلت اجدرا
لكلّ تراني قد قضيت بحقهِ واسأل بارينا الهدى والتبصُّرا

وقد مدح صاحبَ الترجمة قومٌ من ادباء زمانهِ كنصر الله الطرابلسيّ الذي سبق شيء من قولهِ . وكنقولا الترك وفي ديوانهِ عدة قصائد يطري فيها محامد بطرس كرامة فيجيبهُ هذا باقوال مستطرفة تجدها في مجموع نظمهِ (ص ١٠٩ – ١٢٨)

وممن مدحهُ عبدُ الحميد البغداديّ الشهير بابن الصباغ فكتب اليهِ رسالة اولها :

تبسَّم الزهر عن انفاسكم فسرى من طيب ذكركمُ نشرًا فاحيانا
فمن هناك عشقناكم ولم نركمْ والاذنُ تعشق قبل العين احيانا

فاجابهُ بطرس كرامة بكتابٍ افتتحهُ بقولهِ :

عشقتكمْ من قبل لقياكمُ وكلُّ معشوق بما يوصفُ
كالشمس لا تدركها مقلةٌ لكنها من نورها تُعرفُ

وكذلك مدحهُ رزق الله حسون الحلبي وسنذكر قولهُ في ترجمتهِ . واشهر منهُ الشيخ ناصيف اليازجيّ فانَّ ديوانهُ الذي طُبع لاوَّل مرَّة في بيروت مصدَّر بقصيدة في مدح كرامة يقول فيها :

رجـلٌ واذا وصفهُ وكفى بهِ رجلٌ لهُ المفهومُ والمنطوقُ
حسنُ المعاني والبيان كلامهُ جزلٌ ومعناهُ الرقيقُ دقيقُ

ومنها :

يا بطرسُ الشهمُ الكريم مكانهُ وبنانهُ ولسانهُ المنطيقُ

---

١) راجع مجاني الادب (٦ : ٢١٥) وهناك اشارة الى هذه القصَّة

انتَ الكرامةُ وابنها وابٌ لها نسبٌ كريمٌ في الكرامِ عريقُ

ولهُ ايضاً يعزيهِ بولدِهِ وهو رثاء بليغ اوّلهُ :

أجملَ الله في فؤادك صبرا وجزى منةً واعظمَ أجرا

ومنها :

لو يُفيد البكاء والنوحُ شيئاً لأقامت خنساءُ قبلكَ صخرا
يطمع المرءُ في الحياة طويلًا وهو في الموت اوعن الموت فترا
وحياة الدنيا تسمّى حياةً مثلما تُحسَبُ المجرةُ نهرا
هكذا الناسُ عاثرٌ إثر كابٍ كلُّ عينٍ بدمعة البين شكرى
يا طريق البقا اذا كنت خيراً فلك الفضلُ كلّما زدت قصرا
وحياة الدنيا طريق الى الاخـرى فخذ زادها الذي هو أمرى

وقال الشيخ يؤرخ سنة وفاتهِ ١٨٥١ :

مضى من كان اذكى من اياسٍ بحكمتهِ وأشعرَ من زُهيرِ
فقُلْ يا ابنَ الكرامة قرَّ عيناً لبطرس أرّخوه ختامَ خيرِ

وممن اشتهروا في هذا الطرز الثاني اديب عاجلتهُ المنيَّة فقصفت غصن حياتهِ النضير وهو احد نصارى صيداء جرجس بن يوسف بن الياس ايبلا الذي روينا شيئاً من شعره في المشرق (٦ : ٢٩٣ — ٢٦٥) وكان هذا الشابّ مكفوفاً وهو شديد الذكاء والنباهة يقول الشعر عن سليقةٍ وكانت وفاتهُ سنة ١٨٤٩ وهو في الربيع السابع عشر من عمره فأرخهُ بطرس كرامة بقولهِ :

بُنيٌّ لآيبلا بذا اللحد قد ثوى بصيرٌ ذكيٌّ شاعرٌ متفرّسُ
ولمّا قضى نودي تنعّمْ مؤرخاً ونلْ فرحاً في جنة الخلد جرجسُ

وكان جرجس ايبلا مع صغر سنهِ يكاتب ادباء عصرهِ فكاتب ابراهيم بك ابن بطرس كرامة فقال فيه ولعلَّ هذه الابيات لاخيهِ رفول :

لقد احييتَ فضل ابيك حتّى بفضلك فقت والدك الحكيما
ابوك لقد بنى لك بيت مجدٍ وزدتَ بجدك المجد القديما

وكاتب الشيخ ناصيف اليازجي فمدحهُ بقصيدةٍ لم نعرف غير مطلعها :

بحور الهوى قد اغرقت كلَّ سابحٍ وقصّر في ميدانهِ كلّ راجحِ

فكان جواب الشيخ بقصيدةٍ قال فيها مثنياً على الشاعر الحدث :

هويتُ الذي اعطى العلوم فؤادهُ فاعطتْهُ منها سانحاً بعد بارحِ
تيمّنتُ باسم الخضر فيهِ وطالما ترى المرءَ لا يخلو اسمهُ من لوائحِ

وجدتُ بهِ بل منهُ متعةَ سامعٍ وبا حبَّذا لو نالتُ رؤيةَ لامحِ
بهِ حدثت عيناي أُذني وربَّما تُخصَّص بالاقبال بعضُ الجوارحِ

ومن حسن اقوال جرجس ايلا قصيدة مدح بها السيّد عبد الله الجابري منها:

دُعِيتَ بعبد الله انك سيّد وبالجابريّ الالمعيّ لتجبرا
واصبحَ ذو فضلٍ بحبك هائمًا واضحى بك الشاني الظلومُ مكدَّرا
حويتَ التُّقى والجدَّ والمجد والهدى من الجدّ حتّى طبتَ فرعًا ومنصرا

ولهُ من قصيدة مدح فيها الشيخ يوسف الأسير:

فيوسف يُدعى بالاسير لأنَّهُ يسيرُ اليهِ العلم في غاية الأسرِ
فهيمٌ كريمٌ فاضلٌ متأدّبٌ قداستوجب المدح الجزيل مع الشكرِ
قد استوجبَ العزّ الرفيع مع الثنا لكثرة ما فيهِ من الشيم الغُرِ

وكان لجرجس ايلا اخٌ اكبر منهُ يُدعى رفُّول وكان ايضًا مكفوفًا كشقيقهِ ويشبهُ في توقّد ذهنهِ وفصاحة لسانهِ لكنهُ عاش دهرًا بعدهُ وكان يقول مثلهُ الشعر وقد شبههما اهل زمانهما بابي العلاء المعرّي فقيل انهما حكياهُ في ادبهِ كما حكياهُ بفقد بصرهِ. وتأدب على رفول بعض الادباء فاشتهروا بعدهُ بالكتابة منهم فقيد الادب نقولا بك توما المحامي الشهير المتوفي في مصر السنة المنصرمة. ومن شعر رفول ابيات نجت من ايدي الضياع أثبتناها في المشرق (٦ : ٢٦١) منها قصيدة قالها في احد الادباء. اوّلها:

يا نسيم الصبح خُذْ عني السلام نحو قومٍ هيّجوا فيَّ هيام

ومن اقوالهِ في الشوق الى بعض الاحباب:

اخبر الاحبابَ عني انني بعد بُعدي عنهمُ ذقتُ الندم
طيفهم ان بعدوا عن مقلتي لم يفارقها دوامًا وهي لم
فعسى احظى برؤياهم وبي رمقٌ كي اشتفي من ذا الالم
وعلى الله اتكالي فالذي يُخاص الآمال فيهِ لم يُضَم

وفي هذا العهد كان ايضًا الشماس حنَّا الماروني المعروف بالقزّي وزّي كان يقول الشعر الحسن بالمواضيع الدينيّة لكن اكثرهُ قد فُقد. وممّا سلم منهُ تخميسهُ لقصيدة الطيب الذكر المطران جرمانوس فرحات في مريم العذراء. وقد عثرنا على نسختين من هذا التخميس احداهما عند الرهبان الموارنة البلديين قال في مطلعه:

كلّ النبيّين الذين تقدَّموا في مدح سيدةِ الانام تكلَّموا
فلذا يُناديها الفؤادُ المغرمُ لو كان للافلاك نطقٌ او فمُ
لترنَّموا بمديحك يا مريمُ

(لهُ بقية)

ترقّي العلاج بالكهرباء

للدكتور الياس الحاج متولي المعالجة الكهربائية في مكتبنا الطبي

جمعني وقوماً من الادباء منتدى علم فاخذنا نسرد اكتشافات هذا العصر ونقضي العجب ممّا توفّق الانسان الى وجوده من اسرار الطبيعة فاصبح يطير في الجوّ على اجنحة المناطيد ويغوص في اعماق البحار راكباً متن الغوّاصات ويقطع المسافات البعيدة لا يجاريه اسرع الجياد الّا انّ تلك العجائب كلها يكاد ينساها العاقل اذا تأمل في غرائب الكهرباء من اشعّة رنجن ونقل الحركة الى الامكنة السحيقة والتلغراف اللاسلكي وغير ذلك ممّا تعدّدهُ المجلّات العلميّة في اعدادها المتوالية

فانتهز احد الحضور تلك الفرصة فسألني عن رأيي في حقيقة فعل الكهربائيّة بالامراض وكيف فعلها وما هي الادواء التي تعالج بها. واردف قولهُ بانهُ لا يزال مرتاباً في منافع المعالجة بالكهرباء لأنهُ سمع في ذلك اقوالًا متناقضة فمن الاطباء من يدّعي انها تضرّ ولا تنفع ومنهم من يزعم انّ نفعها يسير لا يعوّل عليهِ

فتبسّمت لهذا القول وأجبت السائل بأن جهل الشيء ربّما كان مدعاةً لانكارهِ وان انتشار المعالجات الكهربائيّة في البلاد الاوربيّة وتقاطر المرضى للتداوي بها دليل قاطع على انّ للكهرباء من النفع ما لا ينكرهُ الّا الجاحد للنور

وكان في يدي احد مجلدات المشرق نشر فيهِ (٤: ٤٣٣ و٨٠١) زميلنا الدكتور النطاسي نجيب اصفر مقالاتٍ حسنة في العلاج بالكهرباء فقرأتُ لهُ ما نقلهُ جنابهُ عن اثبت المجلّات العلميّة في مفاعيل الكهرباء العجيبة في المجرى العصبيّ وفي الدوران الدموي وفي الاجهزة الحركيّة والهضميّة لاسيما على طريقة الاستحمام بالكهرباء. ثمّ انتقلت الى ذكر بعض العاهات التي عمّ اليوم علاجها بالكهرباء من ذلك كيّ اللوزتين بها (hypertrophie des amygdales) بدلًا من العمليّة الجراحيّة الخطرة التي كان يجريها الاطباء سابقاً ومنها ازالة البُقع الدمويّة (angiomes) التي تظهر في الجسم منذ الولادة. ومنها علاج الفالج وغير ذلك ممّا عددهُ هناك حضرة الكاتب بحسن نظر وإصابة فكر. ثمّ ذكرتُ لهُ اموراً أُخرى مستجدّة وامراضاً تمكّن من شفائها

الاطباء الكهربائيون منذ كتابة هذه الفصول وهي التي ننشرها في هذه النبذة تعميماً للفائدة فنقول :

انَّ من منافع الكهرباء المكتشفة حديثاً استعمالها لايلاج الادوية في الجسم دون ألم ولا مضرَّة . والمعلوم أنَّ الادوية تُشرب او تُسف او تُبلع حتَّى تنفذ الى المعدة فتمتصُّها العروق وتسري في المجرى الدموي الى ان تبلغ الى العضو المريض لتعمل فيهِ عملها . الَّا انَّ ادويةً كثيرة تمجُّها المعدة او تولّد فيها عللاً ضارَّة وربما أبت المعدة ان تمتصها فتجتاز فيها بدون فائدة . فاستدراكاً لهذا الخلل استعمل الاطباءُ طريقة الحقن تحت الجلد فادَّى ذلك الى نتائج حسنة لولا انَّ بعض المرضى يتأذَّون من الحقن فضلاً عن كون الحقن يسبب احياناً التهابات في الاجسام تضرها كثيراً ان لم تؤخذ الاحتياطات الجمَّة لتلافيها فضلاً عن ان الجلد ايضاً ينالهُ منها اذًى

وقد جاءت الكهرباء فحلَّت هذا المشكل واليوم جعل الاطباء ينفذون الادوية الى الاجهزة المريضة الباطنة بواسطة الكهرباء (ionisation) دون وجع ولا شق ولا اراقة دم وكذلك المعدة لا يصيبها من ذلك ادنى أذى . فيبلُّون قطعةً من الشاش بمحلول الدواء الذي وُصف للمريض ويغمسون قطعة اخرى في الماء الاعتيادي وتوضع القطعة الاولى على المكان الموجوع والقطعة الثانية توصل ببطارية كهربائية فاذا جرت المجاري الكهربائيَّة امتصَّ الجلد الدواء . وهذه الطريقة اكثر استعمالها في داء المفاصل اي في الروماتزم المزمن او الروماتزم الحادّ وفي داء النقرس وعرق النسا وفي السرطان الجلدي (lupus) وفي الصلع الطفلي (pelade) وهذا العلاج يفضَّل على ما سواهُ

وقد اتسع ايضاً نطاق العلاج الكهربائي بالمجاري المتعاكسة الشديدة التواتر (اطلب المشرق ٤ : ٨٠٥) الذي بوشر منذ بضع سنوات لعلاج ادواء متعددة وهذه الطريقة ذات منافع قد ثبتت اليوم بالتجربة لامراض لا تحصى . ويكون استعمالها امَّا موضعياً لشفاء ادواء محليَّة في الجسم وامَّا عموميَّة . فالموضعيَّة تشفي من الحُكاك الموضعي والطُفَر الموضعيَّة والاكزيما المزمنة والبُقع التي تشوّه الوجه خصوصاً الانف باحمرارها . وقد رأيت رأي العين مرضى مبتلين بالسلّ الجلدي لم ينجع في دائهم دواء شفوا بهذا

المنوال شفاء تامًا · وكذلك رايت فتاة مصابة بجرح سلّي نالت الشفاء بعد زمن قليل من عرض دائها على المجاري الكهربائيَّة المتواترة

وعلى هذه الطريقة عينها يُعالَج المصابون بالقروح الدواليَّة الناتجة عن ضخم عروق الدم لاسيما النوع الذي يُعرَف بقلة اندماله (atone) فانَّ الاطباء كانوا يحكُّون الجرح ويكشطونهُ ثمَّ يكوونهُ وكان شفاؤهُ مع كل ذلك يعتاص عليهم · واليوم اقرب وسيلة الى ازالة هذا الداء توجيه الشرارات الكهربائيَّة المتواترة الى العضو العليل

امَّا العلاج العموميّ بمجاري الكهرباء المتواترة فيكون على طريقة الاستحمام كما تفعل ذلك في المكتب الطبيّ الافرنسيّ انظر الصورة في المشرق (٤ : ٤٣٦) فاننا نجعل المريض على كرسيّ ضمن قفص تحدق بهِ الاسلاك الكهربائيَّة فتنفذ في جسمهِ دون ان يشعر باهتزازاتها ومن مفاعيلها انها تزيل الأرق وتقوي شهوة الطعام وتنعش الجسم وتزيد حركة التنفس بتوفير عنصر الاكسيجين المحيي وطرد الحامض الكربونيك السام

وممَّا نبه اليهِ الافكار في هذه المدَّة الاخيرة العلَّامة درسنقال (d'Arsonval) إمام المعالجين بالكهرباء لنَّ الاستحمام الكهربائي مع انجع الوسائل لاطالة حياة الانسان وقد بنى قولهُ على البرهان الآتي قال : معلوم انَّ الدم يجري في الشرايين والعروق كما يجري الماء في انابيب المطَّاط (الكاوتشوك) · الَّا انَّ هذه العروق لا تتمّم وظيفتها تمامًا الَّا على قدر لينها وطراوتها حتَّى امكن الاطبَّاء وضع هذا المبدأ انَّ عمر الانسان على مقتضى حالة عروقهِ يريدون انَّ الموت اجمالًا والموت الفجائي خصوصًا لا يطرأ على المرء ما دامت عروقهُ لينة مرنة · امَّا اذا صلبت العروق وجست فانها تعجز عن اتمام وظيفتها كانبوب من الكاوتشوك العتيق وعليهِ يُخاف من انفجار عرق منها فيسبّب امَّا الموت الفجائي واما الفالج او احد اعراض تصلُّب العروق (artériosclérotie) التي يطول بنا تعدادها · امَّا جسوّ العروق وتصلبها فلأسباب عديدة منها الامراض السالفة وانحلال القوى الجسيَّة والعقليَّة ومنها الادمان على شرب المسكرات والاكثار من اكل اللحم وداء الزهري الخ

فانْ صحَّ انَّ علَّة موتنا من تصلُّب العروق ثبت ايضًا انَّ اطالة حياتنا تتوقف على منع هذا الجسوّ او على ازالتهِ عند حلولهِ · ومن ثمَّ سعى الاطباء بوجود دواء لهذا الداء كي يحفظوا للعروق لينها فوجد بعضهم ادوية شتَّى لم تفِ بالمرغوب وان افادت بعض الافادة

لاسيما بمراعاة الوسائل الهيجينيَّة والقوانين الصحيَّة · وكان الدكتور درسنفال في تلك الاثناء يبحث عن مفاعيل الكهرباء في الجسم فصرف نظرهُ الى فعلها في تليين العروق فتوفَّق بعد الاختبارات المتوالية الى وجود ضالَّتهِ وتأكد انَّ الاستحمام الكهربائي اذا ما جرى على طريقة معلومة وبواسطة آلات قويَّة يلين العروق ويزيل تصلُّبها وبذلك تطول حياة الانسان

فقام العلماء وقعدوا لهــذا الخبر فنهم من يثبتهُ ومنهم من ينكرهُ وأجروا لذلك الامتحانات المتعدّدة وكتبوا المقالات المطولة وكانت نتيجتها الاولى الاكيدة انَّ معظم الاعراض التي يشكو منها المنوُّون بتصلُّب العروق تخفُّ الى ان تزول تماماً كصعوبة التنفُّس وخور القوى في المشي وخفقان القلب ووجع الرجلين والصــداع والدُّوار · امَّا العروق ذاتها والشرايين فانَّ الاستحمامات الكهربائيَّة وحدها لا تردّ لها طلاوتها ولينها ولكن اذا رُوعيت مع هــذا القوانين الصحيَّة كاقلال التعب وتخفيف اكل اللحم والاعتدال في امور الحياة عادت نوعاً الى الانسان مرونة عروقهِ وطال كذلك عمرهُ

هذا ما تقرَّر اليوم بلا شك ولا مراء · على انَّ المسيو درسنفــال لم يزل مواصلاً لاختباراتهِ وهو يؤكد انَّ لديهِ آلاتٍ قويَّة كافية وحدها لان تعيد الطــلاوة للعروق الجاسية المتصلبة فبواسطتها يمكنهُ ان يخفف ضغط الدم على الشرايين ويلين العروق ومن ثمَّ يطيل الحياة · والمجلاَّت العلميَّة تخوض اليوم في هذه الابحاث حقق الله اماني الباحثين وعسانا نبشر قريباً قراءنا باكتشاف ثابت مبنيّ على الاختبارات الوضعيَّة التي لا يختلف فيها اثنان · وعلى كلّ حال انَّ اكتشافات المسيو درسنفال الى هــذا اليوم تُعد من اعظم اكتشفات العصر اذا ثبت انَّ الانسان يستطيع ان يمدّ عمرهِ بالاستحمــام الكهربائي مع مراعاتهِ للقوانين الصحيَّة وكفى بذلك تفنيــداً لقول الذين ينكرون منافع المعالجة بالكهرباء

مطبوعات شرقية جديدة

WOMAN : Her position and influence in ancient Greece and Rome and the early Christians. by **James Donaldson** M. A. LL. D. *Longmans, Green and C°. 1907, pp. 278.*

المرأة ومقامها ونفوذها بين اليونان والرومان وفي اوائل النصرانيَّة

افتتح مؤلف هذا الكتاب كلامهُ بإيضاح المشاكل التي يلاقيها الكاتب في بحثهِ عن المرأة في التاريخ القديم ولذلك بيَّن المبادئ التي ينبغي الرجوع اليها في مثل هذا الموضوع وأولها درسُ احوال الامم والازمنة التي يقصد الكتابة فيها حتى اذا عرف حقَّ المعرفة شؤونها المختلفة وطبقات اهلها امكنهُ ايضًا على طريق المقابلة ان يبحث بحثًا مدققًا عن المرأة في ذلك العهد ومقامها ورتبتها . والحقّ يقال ان صاحب هذا الكتاب قد جرى على هذا المبدأ فتراهُ في كل من الاطوار الاربعة التي خصَّها بدرسهِ اعني في عهد اوميروس الشاعر ثمَّ في ايَّام النهضة اليونانيَّة وازدهار دولها ثم في عهد الرومان واخيرًا في اوائل النصرانيَّة يجمع ما كتبهُ المؤرخون والشعراء وما ورد في الآثار في حقّ المرأة وذكر محاسنها ومساوئها ويستنتج من كل ذلك ما لعبتهُ من الادوار في تاريخ الاجتماع البشري . لكنهُ في الغالب يجد انَّ المرأة لم تؤدِّ للهيئة الاجتماعيَّة ما كان يُنتظر منها وذلك لانَّ الدول القديمة ما كانت تعتبر المرأة اعتبارًا كافيًا فلا تهتم بتربيتها الادبيَّة وتُضعف نفوذها في تهذيب اولادها وربَّما كانت تبعد عنها صغارها قبل البلوغ . ومما لا يُنكر انَّهُ وجد بين اليونان والرومان نساء فاضلات ذات نفوذ عظيم والمؤلف يذكر اسماءهنَّ واعمالهنَّ في عدَّة صفحات تؤثر في القارئ تأثيرًا حسنًا لكنَّ عدد اولئك النساء كان قليلًا بالنسبة الى اهل زمانهنَّ . ثمَّ انتقل الكاتب الى ذكر النساء بعد ظهور المسيح بين النصارى الاوَّلين وهو يخبط في هذا القسم خبط العشواء وما ذلك الَّا لكونهِ استند في كلامهِ الى عدَّة كتابات من كتبة البدع واهل الضلال ونسب الى كنيسة المسيح ما لا يصحّ الَّا عن بعض المبتدعين . ومن غريب اقوالهِ انَّ الزواج في الكنيسة لم يُعتبر اعتبارًا كافيًا وانَّ النصارى الاوَّلين كانوا يحطُّون من قدر الزواج وهي شكاية اجاب عليها المشرق في المقالة الاولى من هذا العدد فعليك بمراجعتها   الاب ب . كنتاكيس

Realencyclopaedie HERZOG-HAUCK. XIX, pp. 844, (STEPHAN-TONSUR) *Hinrichs, Leipzig*, 1907.

دائرة المعارف البروتستانية . الجزء التاسع عشر

انَّ هذه الدائرة تُطبع بسرعة غريبة فما مرَّ علينا اشهر قليلة مذ وصفنا الجزء الثامن عشر منها (ص ٣٢٨) فلم يبقَ الى آخرها غير قسم واحد سيتمّ قريباً بهمّة الكتبة المتعددين الذين يشتغلون في موادّها وكلّهم من ائمة علماء البروتستانت في المانية. وفي ذيل كل مادّة اسم صاحبها ليقف القارئ على اميالهِ ومعارفهِ. وفي نسبة هذا الجزء الجديد نُثني على كثير من مقالات هذه الدائرة العلمية والاثرية والادبية التي جمع فيها اصحابُها خلاصة المعلومات الحالية استنادًا الى سادة يُحسبون كحجّة في هذه العلوم. لا بل استحسنّا عدّة مقالات كتبها بعض العلماء في هذه الدائرة عن الامور الكاثوليكية بانصاف. لكنَّ الموادّ التي لها علاقة مع البروتستانية ومع تعاليمها فانها مكتوبة بقلم غُطَّ في مداد الاوهام والاغراض وروح العداء للكنيسة الكاثوليكية كمادّة الخطيئة (SÜNDE) ومادّة المعمودية (TAUFE) ومادّة الشيطان (TEUFEL) وبالاشارة كفاية للتنبيه على مضامينها الاب هـ. ي. ويمان

NOUVELLE GRAMMAIRE ARABE (Méthode Gaspey-Otto-Sauer) par **Robert Armez**, *Heidelberg. G. Groos*, 1907. pp. X-445. avec le corrigé des Versions et des Thèmes. *id : ibid*, pp. 64.

اصول اللغة العربية على طريقة مستحدثة

للادباء غسباي واوتو وساور طريقة مستحدثة لدرس اللغات شاعت في بلاد كثيرة تُقسم فيها الابحاث الى دروس ويليها معجم لبعض الالفاظ مع تمارين عديدة. وقد سلك قوم هذا المنهج في تدريس اللغة العربية منهم المستشرق أرمز الذي وردنا كتابهُ آخرًا. فانهُ قسم الاصول العربية الى ٤٩ درسًا وألحق بكل درس جدولًا للالفاظ وعبارات عربية لينقلها الدارس الى الافرنسية ثمَّ تمارين افرنسية يلزمهُ ترجمتها الى العربية . وقد اتّبع في عملهِ الغراماطيق الذي ألّفهُ من قبلهِ بالالمانية الدكتور هَرْدر وسبق لنا وصفهُ في المشرق (٨: ٨١٢). وممّا لحظناهُ في هذا التأليف انَّ صاحبهُ لم يعرِّف حسنًا حرف الغين (ص ٧) وكذلك لم يفرق بين الياء المثنّاة في آخر الالفاظ والالف المقصورة التي على صورة الياء (ص ٨) فانَّ للاولى

تعطتين على خلاف كتابتها في الفارسيَّة والتركيَّة · وقد وجدنا في بعض التمارين العربيَّة اغلاطاً في التركيب والشكل لا يسعنا هنا تعدادها مثال ذلك تمرين الصفحة ٢٨٧ فانهُ أنث البلد كالبلدة وهو مذكر. ثم جعل مضارع باتَ « يبات » وصوابهُ « يبيت ». وجعل اسم المكان من الوضع « مَوْضَع » والصواب « مَوْضِع » وليس هو « الرِصاص » بل « الرَصاص » وقِسْ عليهِ اغلاطاً كهذه في تمارين أُخرى. على انَّ هذه الاغلاط قليلة بالنسبة الى فوائد هذا الكتاب الذي يسهّل للطلبة الاوربيين درس اللغة العربيَّة ل. ر

G. Frederick Wright: Scientific confirmation of Old Testament History, pp. 432, in-8°, (Bibliotheca Sacra Company). Oberlin. Ohio, U. S. A. 1906.

الموافقة بين اسفار العهد القديم والعلم

علم الجيولوجيا احد العلوم الحديثة التي لم تبلغ بعد كمالها وما انفتح بابها أمام ارباب البحث حتى تسارع البعض منهم الى التنديد في سفر التكوين وتزييف تاريخ الخليقة كما رواهُ موسى في صدر التوراة. لكنَّ الله ربّ العلوم كما هو ربُّ الوحي اقام بين اهل النقد من يتصدى لهذه المماحكات المتسترة بثوب العلم. وممن كتب حديثاً في هذا الصدد احد اساتذة مدرسة اوبرلين من معاملة اوهيو في الولايات المتحدة المستر ج. ف رَيْت وهو من علماء البروتستانت المتضلّعين بعلم طبقات الارض وقد وضع هذا الكتاب ليثبت الموافقة التامة بين رواية موسى النبيّ والقضايا الجيولوجيَّة الثابتة فبين انَّ الله اوحى الى موسى كل ما رواهُ عن تكوين الارض في ايامها السبعة التي يعتبرها المؤلف لا كايّام اعتياديَّة مؤلفة من ٢٤ ساعة بل كأطوار متوالية اقتضى لكل طور منها اجيال عديدة لا يعرفها الّا الله. ومهما كان من صحّة هذا الرأي الذي يجوز للكاثوليك ان يدافعوا عنهُ او يرفضوهُ فانهُ يزيد رجحاناً بانحياز المسيو رَيْت اليه مع سعة علمهِ. وكذلك قد خصَّ المؤلف بذكر الطوفان فصلاً مطولاً (ص ١٥٩ — ٣٦٧) لاثبات صحّتهِ وايراد البراهين الجيولوجيَّة المقرَّرة لوقوعهِ في انحاء المعمور. ولهُ فصل آخر في تقرير ما رواهُ موسى عن انخساف بحيرة لوط وخراب سادوم وعامورة. ونحن مع ثنائنا على همة هذا الكاتب وصواب ارائه في عدَّة امور نأخذ عليهِ شططهُ في شرح بعض المعجزات بنوع طبيعي يرويها كبعض آثار الجيولوجيَّة مثال ذلك انهُ يعلل سقوط اسوار

اريحا عند ضرب ابواق اللاويين حولها بزلزال طبيعيّ حدث تلك الساعة . ومثلهُ وقوف مياه الاردن عن اجتياز شعب اسرائيل فانهُ ينسبهُ ايضًا الى زلزلة . فانَّ شرحًا مثل هذا ليس بكافٍ لايضاح الحقائق الفائقة للعقل وتعليل الخوارق التي اجراها الله بمشيئتهِ لغايات تشهد لحكمتهِ ولعنايتهِ الصمدانيَّة الاب ب . جوون

OTTO HÜBNER'S geographisch-statistiche Tabellen aller Laender der Erde, 1907 (Dr Franz von Juraschek), *Verlag von Heinrich Keller in Frankfurt a. M.*, p. 101 (0, 20 × 0, 14), 1907.

جداول لتعريف كلّ البلاد والممالك

هو كتاب صغير الحجم كثير الفوائد يحتوي مجموعًا من الجداول لتعريف احوال كل البلاد من سعة ومساحة وعدد سكَّان وقوَّة عسكريَّة وبحرية وتجارة ونقود الى غير ذلك من المعلومات التي يحتاج اليها الكتبة وخصوصًا الاساتذة وارباب المدارس والصحافيون فيستغنون بهذا الكتاب عن مراجعة التآليف الضخمة وتقاويم هذا الكتاب واحصاءاتهُ مضبوطة يشير لبيان صحتها الى المصنَّفات التي اخذ عنها . فنحضُّ الشرقيين على اقتناء هذا الكتاب الذي عمَّ اليوم نفعهُ وانتشر انتشارًا عظيمًا . والطبعة التي نحن نصفها هي التاسعة والخمسون فكفاك بذلك دليلًا على منافعهِ ل . ر

Un Manuscrit arabico-malgache sur les campagnes de La Case dans l'Imoro de 1659 à 1663 par MM. E.-F. Gautier et H. Froidevaux, *Paris, C. Klincksieck*, 1907, pp. 151.

مخطوط عربيّ في لغة اهل مدغسكار

اهل جزيرة مدغسكر لم يعرفوا سابقًا الكتابة ولذلك ليس تاريخ اسقم من تاريخهم . الَّا انَّ اهل زنزبار كانوا يتردَّدون الى تلك الجزيرة ويتاجرون مع اهلها وكانت الكتابة العربيَّة انتشرت بينهم فتعلَّمها منهم لتدوين لغتهم بعض اهل مدغسكر القاطنين في سواحل الجزيرة في جنوبها الشرقيّ وخطُّوا بالقلم العربيّ مخطوطات متعدّدة نُقلت الى باريس . وحتى الان لم يجد العلماء في هذه الآثار شيئًا حقيقًا بالذكر وهي عبارة عن جداول نسبيَّة لا طائل تحتها او اغاني قصيرة او وصفات طبيَّة ولاسيما تصاوير وعبارات سحريَّة امَّا التاريخ وبقيَّة العلوم فانها عندهم اعزّ من بيض الانوق . وممَّا توفق اليهِ كاتبان افرنسيان انهما وجدا في احد هذه المخطوطات قطعة تاريخيَّة في وصف غزوات احمد

الفرنسيين المدعو لا كاز (La Case) في القرن السابع عشر وكان لويس الرابع عشر يفكر في فتح تلك الجزيرة وارسل السفن الحربيَّة للاستيلاء عليها فاحتلوا بور دوفين وحاولوا استملاك مدغسكار فحملوا عليها الحملات المتواترة لكن مساعيهم ذهبت ادراج الرياح . على انهُ كان بينهم احد ابناء جنسهم يُدعى لا كاز فهذا كان ذا عزم شديد لا تثبطهُ العقبات ولا تضعف عزيمتهُ المشكلات فحشد قوماً من اصحابه مع بعض الوطنيين وزحف على سكان الجزيرة المتولين عليها واذاقهم مرَّ النكال وبدَّد شملهم ورجع ظافراً غير مرَّة حتى هابهُ الاعداء ودفعوا لهُ الاموال ليردُّوا هجماتهِ . وهذه الحوادث كان الاهلون دوَّنوها في بعض كتاباتهم فوجدها صاحبا هذا الكتاب ونشراها باصلها اللغاشي بالحرف العربيّ مع رسم صورتها بالحرف اللاتيني وترجمتها الى الافرنسيَّة وتذييلها بعدَّة حواشٍ تسهيلًا لادراك معانيها . هذا فضلًا عن مقدَّمة طويلة في تاريخ رحلة الفرنسيين الى مدغسكار في القرن السابع عشر ل . ش

شَذَرَات

العسل الصناعي — حلَّل الكيماويون العسل الطبيعي فعرفوا تركيبهُ واخذوا اليوم باستحضار عسل صناعيّ لا يكاد يخالف الطبيعيّ في شيء . الَّا في رائحته العطريَّة قليلًا . وتركيبهُ كما يأتي يأخذون كيلوغراماً من السكَّر المصفَّى الطيّب ويضيفون اليه ٣٠٠ سنتمتر مكعَّب من الماء مع ١١ غراماً من الحامض الترتريك (acide tartrique) وقليل من العسل الطبيعي ويجعلون الكل على النار الى الدرجة ١١٠ ويمزجونهُ فبعد ثلاثة ارباع الساعة يصير في شبه لون العسل وطعمه تماماً لكنَّ السكر يتجمَّد بعد ايام فيكفي لحلهِ ان يُعرض العسل الصناعي على النار بضع دقائق . وارباب الكيميا يطرئون هذا العسل ويزعمون انهُ افضل من عسل النحل الذي يختلف كثيراً باختلاف الزهور التي تجتني منها النحل

اللحم النيّ والمسلولون — قد اختبر الدكتور ريشه (Richet) انَّ من افضل الاطعمة التي تُعطى للمسلولين الزبدة والسكَّر ولاسيما اللحم النيّ . وبياناً لذلك اخذ كلاباً وحقنها بمكروب السل حتى هزلت ثمَّ اطعم بعضها لحماً نيّاً وبعضها

لحماً مطبوخاً فماتت هذه وعاشت تلك زمناً مديداً . فترى من هذا افادة الكبة النيّة لتقوية المسلولين وصحّة قول القرويين عنها في بلادنا « هذه الكبّة كبّتنا ولولاها كنّا متنا »

✤ اكبر مستحجرات الحيوان ✤ قد باشرت اللجنة العلميّة الاميركيّة المركبة من علماء كليّة ڤيومنغ (Wyoming) حفريات في جوار مدينتهم وهناك طبقات جيولوجيّة قديمة فوجدوا نوعاً من التمساح المستحجر الذي كاد ناظروهُ يكذّبوا فيهِ العيان لعظمهِ وقد بقي من هذا الحيوان هيكلهُ كاملاً وطولهُ ٢٦ متراً قد حُفظ في الارض حفظاً تامّاً وقد نزعوا منهُ احدى فقراتهِ فوزنوها واذا هي تبلغ ١٥٠ كيلو . وسيعرض قريباً هذا التمساح في متحف ڤيومنغ الذي هو اغنى المتاحف الحالية بالمستحجرات

✤ تبليط الكاوتشوك ✤ كانت مدينة لندن سنة ١٨٨١ فرشت حيّاً من احيائها ببلاط مصنوع من مركب الكاوتشوك وكان سمك البلاط خمسة سنتمترات فبعد عشرين سنة عادت فقلعت البلاط لتعرف حالتهُ فاذا هو في احسن حال لم يتلف منهُ في بعض الامكنة الّا ١٥ ملمتراً فاستدلت على فضل التبليط بالكاوتشوك الذي يعود لثباتهِ وطول مدّتهِ ارخص من التبليط بالخشب الذي لا يدوم اكثر من اربع سنوات

✤ الجراثيم الحيّة والجماد ✤ كنّا ذكرنا سابقاً (المشرق ٨ : ٧٣٢) ما شطّت بهِ مجلة المقتطف لمّا روت انّ بعض العلماء كالدكتور بورك توصّلوا الى تركيب جراثيم حيّة من عناصر معدنيّة كسولفات النحاس وسلفات الزنك تجعل في الجيلاتين وغير ذلك من التحضيرات . فكذبنا هذا الخبر في وقتهِ (ص ١١٥١) واليوم قرأنا في مجلة الابحاث العلميّة للدكتور داهلوين (d'Halluin) مقالة مطوّلة يبيّن فيها الفرق العظيم الذي بين هذه الاستحضارات الكيماويّة وبين الجراثيم الحيّة فانّ الاولى ظواهر طبيعيّة عقيمة بخلاف الثانية التي هي خلايا حيّة تتمم كل وظائف الاحياء

✤ أعمق الحفريات في الارض ✤ اعمق ما بلغ اليهِ المهندسون من الحفريّات في قلب الارض ثلاثة آبار حفروها في مقاطعة ميشيغان الاميركيّة لتعدين النحاس فالبئر الاوّل عمقهُ ١٤٩٤ متراً والثاني ١٥٢٤ م والثالث وهو ابعدها غوراً ١٥٨٥ متراً

أسئلة وأجوبة

س سالنا احد المستشرقين من انكلترة ما هو اصل لفظة اقنوم ولاي سبب اتخذها النصارى الشرقيون للدلالة على ما يدعوه اللاتين persona في الدلالة على الثالوث الاقدس

الاقنوم اصلها ومعناها

ج لفظة اقنوم سريانية ܩܢܘܡܐ اصلها كما يرجح من الثلاثي الاجوف ܩܡ (قام) فارادوا به اولاً ما يقوم بنفسه واستعملوه في معنى الجوهر وفي معنى كنه الشيء وحقيقته وانما خصوه بكل واحد من افراد الثالوث الاقدس الذي تقوم به وحدانية الله وذلك على معنى اللفظ اليوناني « ὑπόστασις » الذي شاع في كتب الاباء اليونان فنقله السريان بما ينطبق على معناه ويوافقه في اللاتينية persona

س وسأل من بكفيا جناب الاديب ناصيف افندي الزغزغي ما هو معنى قول السيد المسيح: « اريد رحمة لا ذبيحة » وما الذي اوجب لقوله هذا

آية الانجيل « اريد رحمة لا ذبيحة »

ج وردت هذه الآية اولاً في سفر هوشع النبي (٦:٦) ومعناها هناك على حسب التركيب العبراني « اني افضل الرحمة على الذبيحة » والمراد « بالذبيحة » الذبائح الشرعية من مواش وغيرها كان الاسرائيليون يقدمونها على حسب سنن موسى · وقد استشهد الرب في الانجيل (متى ٩:١٣) بهذه الآية رداً على الفريسيين الذين كانوا يتخذون هذه الفرائض كحجة لابطال اعمال الرحمة ويذمون المسيح لمعاملته الخطأة برحمة فيقول لهم ان الذبائح والاعمال المفروضة في سنة موسى هي دون اعمال الرحمة والامر واضح

س وسأل مستفيد عن شجر الزيزفون وهل يوجد منه نوع مشوك يتخذ للسياج

شجر الزيزفون

ج الزيزفون شجر كثير الانواع يدعوه الفرنج tilleul وفصيلته tiliacées · وهو عادةً متوسط الكبر واوراقه ناعمة له زهرة بيضاء ضاربة الى الصفرة ويتخذ الزيزفون كمشروب معرّق مثل البابونج · ومن انواعه العنّاب (ζίζυφος jejubier) الذي يأتي بثمرة معروفة تؤكل ومنه ايضاً انواع برية مشوكة يسيجون بها الاملاك ل· ش